

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي. ولاية سعيدة



كلية العلوم
الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية بعنوان

دروس في الفلسفة اليهودية والمسيحية

لطلبة:

السنة الثانية فلسفة ليسانس (L-M-D) السادس الرابع

اعداد الأستاذ : عفيان محمد

السنة الجامعية

2019/2018

فهرس المحتويات

4	تقديم
7	مدخل تاريخي للفلسفة اليهودية
9	أصول الفلسفة اليهودية
14	الفرق اليهودية
17	أعلام الفلسفة اليهودية
18	فيلون الإسكندراني PHALOND Alexander
21	موسى بن ميمون
23	(1) فلسفة موسى بن ميمون
23	أولاً: مرجعيات موسى بن ميمون
24	(2) أهم القضايا الفلسفية عند موسى بن ميمون
24	(1-2) العلل والطبيعة عند بن ميمون
25	(2-2) الطبيعة البشرية عند بن ميمون
26	(3-2) التحليل اللغوي والمنطق عند بن ميمون
27	(4-2) الزمان والكون عند موسى بن ميمون
28	علاقة الفلسفة اليهودية بالفلسفة الإسلامية
29	أولاً: المستوى الكلامي
29	ثانياً: المستوى الفلسفي لعلاقة اليهودية بالمسيحية
31	مدخل تاريخي إلى الفلسفة المسيحية
32	مصادر الفلسفة المسيحية
33	1- الفلسفة اليونانية
36	أولاً: الموقف الرافض للفلسفة اليونانية
36	ثانياً : الموقف المؤيد للفلسفة اليونانية
38	ثانياً: الأفلاطونية المحدثة
40	أولاً: العهد القديم

42 ثانيا: العهد الجديد
46 أولا: القديس أوغسطين
46 1- نشأته
47 أ- من المانوية إلى المسيحية
47 ب- من المسيحية إلى القداسة
48 2- مؤلفات وأعمال أوغسطين
49 3- إشكالية المحبة عند القديس أوغسطين
52 4- إشكالية الشر الأخلاقي عند القديس أوغسطين
53 5- نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين
54 6- لاهوت التاريخ السياسي عند القديس أوغسطين
56 القديس توماس الإكويني
56 1- حياته وفلسفته
57 2- مؤلفات القديس توماس الإكويني
58 3- فلسفة القديس توماس الإكويني
58 4- اللاهوت عند القديس توماس الإكويني
62 5- غاية الأخلاق عند توماس الإكويني
63 6- نظرية المعرفة عند توماس الإكويني
65 7- الفلسفة السياسية عند القديس توماس الإكويني
67 القديس أنسلم
67 1- القديس أنسلم حياته ومؤلفاته
68 2- العقل والإيمان عند أنسلم
69 3- نظرية المعرفة عند القديس أنسلم
70 4- براهين وجود الله عند القديس أنسلم
74 علاقة الفلسفة المسيحية بالفلسفة الإسلامية
77 قائمة المصادر والمراجع

تقديم

محاضرات ودروس في الفلسفة اليهودية والمسيحية، تمثل مرحلة إنتقالية للفلسفة إلى الطابع الروحي والطرح الثنائي، الذي أصبح يضيف إلى اللوغوس اليوناني بعدا دينيا سواء في الفلسفة اليهودية أو الفلسفة المسيحية، وهذه الدروس موجهة إلى طلبة السنة الثانية فلسفة مسار (L.M.D) السداسي الرابع، في مقياس أساسي له أهمية في طرح علاقة الفكر اليهودي المسيحي سواء بالسابق اليوناني أو الفكر الشرقي وكذلك إنعكاساته على اللاحق الفلسفي سواء الفكر الحديث الأوربي، وكذلك للمقاربة بين الفلسفتين اليهودية والإسلامية، والمسيحية والإسلامية، إضافة إلى تحليل أهم إشكاليات هذه الدروس وتأويلاتها الفلسفية وقراءة المفكرين لها.

وهذا ما يعطي لدروس مقياس الفلسفة اليهودية والمسيحية أهداف منهجية وبيداغوجية تعليمية، وأهداف معرفية تحليلية.

أما هدف الدروس المنهجي هو توضيح أهمية هذا العصر التاريخي للفلسفة الوسيطية والدينية، من خلال الإشارة إلى بداية عصر جديد للفلسفة بحضور الإيمان وما ترتب عنه من معارف جديدة أقرب إلى الغنوصية والإشراق منها إلى العقل أو التجربة، حيث أصبح الإيمان في مرحلة أولية يعقبها حضور العقل واللوغوس، الذي كان مقدما في الفلسفة اليونانية، كون الإيمان يسبق التعقل، وهذه النقطة تحول فلسفي مهم نوضحه من خلال دروس الفلسفة اليهودية والمسيحية.

أما الهدف البيداغوجي التعليمي من خلال دروس الفلسفة اليهودية والمسيحية، هو الوقوف عند أعلام الفلسفتين مع إبراز أهم محاور التفكير عند مدارس هذه الفلسفة وتوزيعها إلى إشكاليات تتماشى وفق مباحث الفلسفة من وجود وأنطولوجيا إلى معرفة وإبستمولوجيا، وتصوراتهم

الأكسيولوجية الجمالية، وكذلك توضيح نظريات الفلاسفة في العناية الإلهية، والسياسة وفلسفة التاريخ، وتحليل مصادر الفلسفة اليهودية ومصادر الفلسفة المسيحية، وتصنيفها، بين المقدس الديني والوفاة الفلسفي العقلي، إضافة إلى المقاربة بين هذه الفلسفة والفلسفة الإسلامية.

أما الهدف المعرفي من خلال دروس الفلسفة اليهودية المسيحية يوجد في المسار التراكمي في تاريخ الفلسفة وأهميتها، في تقديم أرضية عقلانية لإشكالية لاحقة ترتبط بالتأويل، والعناية والسياسة والحرية، وتوضيح طبيعة كل فلسفة وأهميتها في عصرها وإستمراريتها بصورة تراكمية أو قطائعية، أو نقدية إضافة إلى تحليل مصادر هذه الفلسفة ومباحثها وأعلامها ونقاط تمايزها، لتوضيح الفكر الوسيط والديني للطلبة من خلال هذه الدروس الفلسفية.

الفلسفة اليهودية

مدخل تاريخي للفلسفة اليهودية

إن موضوع الفلسفة اليهودية والمسيحية يثير الكثير من الإهتمامات لأننا نجد إختلاف مفكرين في تصنيف هذه الفلسفة الذي يميل إلى اللاهوت والدين، كما نجده إحياء للتراث الإغريقي وهذا ما ترتب عنه الكثير من الإشكاليات، فما ما هي دوافع دراسة الفلسفة اليهودية والمسيحية؟
تتنوع الأبعاد الفكرية والفلسفية في تبرير أهداف البحث في الفلسفة الوسيطية وطبيعة أصولها والدوافع التي تعكس أهميتها عقائديا ومعرفيا ومنهجيا.

أولاً: السبب العقائدي

البحث في شؤون وثقافة اليهود والنصارى يشكل لنا نافذة هامة في القرآن الكريم لإرتباط هذا بتاريخ السيرة النبوية، فمفاهيم الإنجيل والتوراة مذكورة في أكثر من موضع، ولأهميتها في النقد التاريخي وتطوره على شكل قضايا فلسفية متنوعة لاحقاً.

ثانياً: السبب المعرفي

في مقابل مفهوم الإستشراق نجد الدراسات العربية للفكر الغربي يسميها المفكر **حسن حنفي** بعلم الإستغراب، أي الدعوة إلى معرفة والتمكن من علوم الغرب، خصوصاً وأن الحضارات متداخلة تاريخياً وحركة الترجمة توضح هذا التناغم المشترك في قراءة معارف اليونان.

(حيث نجد الأسس الكلاسيكية لليهودية كما وضعها حكماء التلمود متأثرة بالأفلاطونية وخاصة سورة أسبارطة نموذج القوة عند أفلاطون)¹، فكل الحضارات تفاعلت من خلال التداول الثقافي الذي ترتب عنه إشكاليات متنوعة ومتقاربة.

ثالثاً: السبب المنهجي

إن العولمة تفرض علينا التفاعل الإيجابي مع الأديان بمنطق جديد أساسه الفهم والمعرفة، لأن خطاباتها صارت في منابر قريبة إلى مواطننا وعقولنا من خلال التطور العلمي لوسائل الإتصال، أمام التنوع الثقافي والحضاري وأفكار الديمقراطية والعولمة والانفتاح على ثقافة الآخر.

طبيعة المنهج المستخدم في دراسة اليهودية والمسيحية

هل تدرس الفلسفة اليهودية المسيحية من خلال نصوصها أو من الدراسات التي قامت بشرحها، خصوصاً وأن الطابع الإيماني يطغى على نصوص الفلسفة (فتعددت الدراسات واختلفت من منهج لآخر حول محاولات تتبع التاريخ القديم خاصة البنية التاريخية لحركة التواجد اليهودي في التاريخ، ومقومات النشأة الأولى للتاريخ اليهودي على وجه الخصوص)².

¹ - إسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطى ثلاث آلاف سنة، تر صالح علي شوداح، دار نسيان - بيروت، ط01، 1995، ص 24.

² - صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام ج0، دار الجيل ، بيروت، ط3، 1995، ص 5.

أصول الفلسفة اليهودية

الفلسفة اليهودية من خلال مفهومها تجمع بين مفهومين أساسيين، أولاً الفلسفة وهي محاكاة لليونان وما وصلنا من أعمالهم هو مسار منهجي لحركة الترجمة وتنوع الثقافات، والمفهوم الثاني اليهودية وهي ديانة تعود إلى المقدس مثل كل الديانات، ويترتب عن هذا إما توفيق مع العقل اليوناني أو تقديم النص المقدس وتأويلاته كونه قانون المجتمع والأخلاق وسبيل الخلاص، فما هو مصدر الفلسفة اليهودية؟

هي فلسفة أساسها التوراة يقولون أنها الشريعة وكتب التوراة وشريعة من تعاليم التي تلقاها موسى عليه السلام، ولكن اليهودية أشمل من ذلك لأنها روح التعبد التي هي أقدم من موسى لأنها روح الآباء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ودانيال، وتعود المرجعية الدينية لليهود كونها أساس كل تفكير فلسفي إلا أننا لا نجد في كتبهم أي أثر للتأملات الميتافيزيقية التي نجدها لدى الهنود واليونانيون لأن الموسوية وجانبها النظري لا تقدم لنا فكراً يهودياً خالصاً، لذلك نوضح طبيعتها من خلال التلمود وأسفار العهد القديم وأصل العهد القديم وتقسيماتها.

أولاً: التلمود

من أهم مصادر اليهودية بل وهو روح نواميسها (حيث ينبغي أن يكون التلمود مفهوماً بوضوح لأنه مصدر ومرجع كل الممارسات الكلاسيكية لليهودية، والقاعدة التي تحدد شرعيتها هو التلمود وبتحديد أدق ما يدعى بالتلمود البابلي، أما بقية الأدب التلمودي يدعى تلمود القدس أو فلسطين فهو مراجع إضافية)¹.

¹ - إسرائيل شاحك، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطى ثلاث آلاف سنة، ص 62.

ويتجسد التلمود في مجموعة قانونية قسمها اليهود إلى قسمين وكل قسم فيه تفاصيل، حيث (يتألف التلمود من **المشناة** وهي مجموعة قانونية شاملة تضم ستة مجلدات مكتوبة بالعبرية والجزء الثاني للتلمود نسميه **الجميراه** وهي شرح للمشناة)¹.

وتتوعد معاني التلمود كتاب اليهود المقدس، فمفهومه اللغوي يعني الدرس والتنظيم (وقد كتب باللغة العبرية والآرامية ويتكون من **المشناة** أي التوراة الشفوية ومن **التثنية** التي بدأت منذ ظهور اليهود حتى 220 م ويتكون التلمود إضافة إلى **المشناة** من **الجميراه**، أي الشروحات والتفاسير والتعليق التي تسند أساسا إلى نص التوراة وهي أعمال قام بها شيوخ وتلامذة الأكاديمية اليهودية الفلسطينية والبابلية ما بين 220 م و 500 م، والتلمود تلمودان أحدهما فلسطيني ويدعى **بروتسلمي** - القرن الرابع وثانيها التلمود البابلي القرن الخامس وهو الأهم)².

ثانيا: من هو مؤلف العهد القديم؟

(لو سئل أغلب قراء العهد القديم عن مؤلفه فسيكون الجواب، إنه الرب حيث أنهم لا يتوقعون أنه كتب بأفلام بشر ملهمين بروح القدس، أحيانا يكتبي مؤلف مقدمة الكتاب المقدس بأن يجب بهذا الجواب على قارئه حتى يسد الطريق على أي تسائل، وأحيانا أخرى يضيف إليها تصحيحا)³.

حتى تكون للنصوص المقدسة طابعا إلزامي كونها هي النواميس التي تحكم البشر، ويشير (إدموند جاكوب إلى أنه في البدء لم يكن هناك نص واحد فقط، بل كان هناك تعدد في النصوص، ففي القرن الثالث قبل الميلاد تقريبا كان هناك على الأقل ثلاثة مدونات للنص العبري للتوراة، كان

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 62.

² - أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1999، ص 25.

³ - موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، تر عدل يوسف، دار الأهلوية، بيروت، ط1، 2009، ص 21

هناك النص المحقق الماسوري **Massorethique** والنص الذي أستخدم جزء منه على الأقل في الترجمة إلى اليونانية والنص المعروف **بالسامري** أو أسفار موسى الخمسة **Pentateuque** بعد ذلك في القرن الأول بعد الميلاد)¹.

ومن بين أهم الترجمات نجد الترجمة السبعينية وهي باللغة اليونانية تعود إلى القرن الثالث بعد الميلاد وقد كانت في الإسكندرية (والكتاب المقدس قل أن يكون مجموعة أسفار كان تراث شعبي لا سند له إلا الذاكرة وهي العامل الوحيد الذي إعتد عليه نقل الأفكار في هذا التراث الشعبي)². وأغلب قصص التراث الشعبي تعكس مناسبات معينة تخصص لها أناشيد وطقوس وكلها تعكس الواقع المعاش آنذاك، (حيث كان الناس يغنون في مختلف المناسبات في العهد القديم منها أغاني الطعام وأغنية الإحتفال بنهاية الحصاد وأناشيد العمل مثل نشيد البئر المشهور في سفر العدد، وأناشيد الزواج مثل نشيد الإنشاد، وتراتيل الحداد وأناشيد الحرب)³، فما هي أهم أسفار العهد القديم وكيف تم تقسيمها؟

ثالثا: أسفار العهد القديم

¹ - موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 24.

(دراسة العهد القديم تتمثل في إستقصاء نشأة هذه المجموعة من الأسفار وتاريخها وهذه الأسفار تتضمن كلمة الوحي وهي كتاب اليهود، اليهودية المقدس الذي إعتبرته المسيحية أيضا كتبا مقدس وقد سميت هذه الأسفار في كتاب العهد الجديد بالكتب المقدسة)¹.

وأسفار الكتاب المقدس كانت تسمى بالنواميس أو القوانين فما معنى الأسفار والنواميس؟

معنى الأسفار والنواميس

(أما التعبير عن أسفار العهد القديم بكلمة ناموس فقد ورد في إنجيل يوحنا، أجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم، وكلمة ناموس هي اللفظة اليونانية نوموس أي القانون وهي تقابل التوراة العبرية)².

وأسفار الكتاب المقدس ترشد الناس إلى قوانينهم أي الشريعة وهذا يجعل طبيعة هذه الكتب مميزة لأنها كتب شرعية تختلف عن الكتب الدنيوية الأخرى (وكان كل سفر من الأسفار يسمى سفرا على حد قول دانيال فهت من الأسفار، وكل سفر ترجمها اليونان ببيلوس وهو الإسم اليوناني للمدينة الفينيقية ببيل التي كانت مركز لتجارة الأوراق البردية التي تصدرها مصر وقد ساد إستعمال كلمة ببيلوس للدلالة على جميع الكتب المقدسة عند الكتاب المسيحيين)³.

فما هي أهم تقسيمات العهد القديم؟

رابعا: تقسيم العهد القديم وعدد أسفاره

¹ - مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، دط، 1968، ص 5.

² - المرجع نفسه، ص 5.

³ - المرجع نفسه، ص 6.

رتبت الترجمة السبعينية عدد أسفار العهد القديم ولكل سفر عنوان (حسب عبارة كل السفر أو مضمونه على إختلاف المناسبات التي يعيها كل سفر ويضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفر قسمت إلى ثلاثة أقسام، أولا التوراة أي الناموس وثانيا الأنبياء وثالثا الكتب)¹.

أما الكتب فهي كتب موسى الخمسة (التكوين، الخروج، اللاويين، التثنية، العدد، والأنبياء قسمان الأوائل والأواخر، فالأوائل سفر يوشع والقضاة وسفر صموئيل وسفر الملوك والأواخر نبوءات إشيعة وأراميا وحزاقيا والنبوءات الإثني عشر من هوشع إلى ملاخي والكتب هي المزامير والأمثال والنشيد سليمان وراعوث ومرائي آراميا والجامعة ودانيال وسفر أخبار الأيام)².

أما عن ترتيب أسفار العهد القديم، لم ترتب هذه الأسفار حسب الأزمنة التي تكتب عنها (حيث كان اليهود يقسمون أسفار موسى الخمسة إلى أربعة وخمسين قسما بعدد أيام السبت في السنة وتسمى فرشة بالعبرية بحيث تتم قراءتها على مدار سنة، وكانت قراءة الأسفار الخمسة يتبعها قراءة أجزاء من الأنبياء)³.

ومضمون الأسفار من خالق العالم إلى الطوفان، ومن الطوفان إلى دعوة إبراهيم، ومن دعوة إبراهيم إلى خروج بنو إسرائيل من مصر، ومن خروج بنو إسرائيل من مصر إلى بناء هيكل سليمان، ومن بناء هيكل سليمان إلى سبي بابل، ومن سبي بابل إلى ميلاد المسيح.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 7.

² - المرجع نفسه، ص 7.

³ - المرجع نفسه، ص 7.

الفرق اليهودية

تتنوع الفرق اليهودية حسب المعتقدات والإختلاف في القضايا الإجتماعية ومن بين أهم الفرق

اليهودية ما يلي:

1- الفرسيون

(وهم شيعة من اليهود يجهرون أنهم أكثر إستمساكا بالدين من سائر أبناء ملتهم وبأنهم أدق من غيرهم في تفسير شرائعهم، من دلالة الكلمة نفهم أنهم المنعزلون أو المنشقون، ذلك لأن أعداءهم كانوا يدعون أنفسهم الأحبار أو الريانيين ومن أهم معتقدات هذه الفرقة أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مخلوقة منذ الأزل وكانت مدونة على الألواح المقدسة ثم أوحيت إلى موسى)¹.

2- الصدوقيون

(قيل أن إسمهم نسبة إلى صادق الكامن الأعظم في عهد سليمان وهذه الفرقة أنكرت التلمود ولم تقدر التوراة قدسية مطلقة وهم ينكرون البعث واليوم الآخر لأنهم يعتقدون أن العقاب والثواب يتمان في الدنيا وهم يؤمنون بحرية الإختيار ولا يتقربون مسيحيا قادم وهذه الطبقة كانت من الأرسطقراطيين تحاول أن تحمي مصالحها فمالت إلى إحترام القوانين الموجودة وأحترمت ديانة اليهود ولا يميلون إلى العنف)².

¹ - كامل سعغان، اليهودية تاريخ وعقيدة، دار الإعتصام، مصر، ط1، 1981، ص 204.

² - المرجع نفسه، ص 206.

3- الحسديون

ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني قبل الميلاد (وتختلف عن بقية فرق اليهود إختلافا جوهريا في عقائدها وعباداتها ونظامها وتقاليدها، وقد ضل أتباعها يمارسون طقوسهم الدينية إلى القرن الأول الميلادي، وكانوا يحيون حياة أقرب إلى الرهبنة ويكرهون الزواج ويميلون إلى الإشتراكية)¹.

4- السامريون

(فئة قليلة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من العهد القديم إلا جانب سفر يوشع وسفر القضاة وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود)².

5- فرق الفكر اليهودي في المشرق الإسلامي

من بين أبرز فرق اليهود في المشرق الإسلامي هم القراؤون والربيون وقد تبنا أفكار فلسفية تحاكي علم الكلام الإسلامي وتعكس حضور الفلسفة اليونانية ونجملهم فيما يلي:

أولا: القراؤون

من فيلون الإسكندراني الفيلسوف اليهودي الذي لم يحد عن تقليد الفكر اليوناني في صورته الجديدة أي التلمود.

(وفترة القراؤون مستهلها فيلون ومنتهاها بداية اليهودية في بلاد الإسلام وترى هذا المذهب في أحضان مذهب علم الكلام الإسلامي ولم يكن علم الكلام هذا في الإسلام إلا تفتحا على الإرث

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 207.

² - المرجع نفسه، ص 209.

الذي ورثه الفتح الإسلامي في الإمبراطورية الشاسعة التي كانت منبعاً لمعتقدات سماوية وغير سماوية مثل اليهودية والمسيحية ومعتقدات الهند وإيران¹.

ومن بين أعلام هذا المذهب:

1- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الفرقساني

(أحد كبار أعلام القرائيين في المنتصف الأول من القرن العاشر الميلادي من فرقسان، وهي

مدينة قرب بغداد من أهم مؤلفاته كتابان، كتاب الأنوار والمراقب وهو كتاب في التشريع)².

2- أبو علي الحسن أو يافث علي

(يعد أبو الحسن من ظاهري توراة القرائيين عاش في المنتصف الثاني من القرن العاشر

ببيت المقدس ومن أهم آثاره ترجمته كتاب العهد القديم إلى اللغة العربية وكذلك تفسيره الذي حرره

باللغة العربية)³.

3- يوسف البصير

(عاش بفلسطين خلال القرن الحادي عشر وكان من أعلام الفكر القرائي البارزين ألف كتاب

المحتوى بلغة عربية وعاش في بلاد الإسلام وترجم كتابه إلى العبرية بمعنى كتاب الكياسة)⁴.

ثانياً: الربيون

1 - أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة الوطنية، مراكش ط1، 1999، ص 26.

2 - المرجع نفسه، ص 29.

3 - المرجع نفسه، ص 29.

4 - المرجع نفسه، ص 29.

(يتميزون بتشبعهم بالمناهج العتيقة التي تركت العقل جانبا وأثقلت النص الديني بموروث لا يكتسي صبغة عقلية مقنعة وغنما يكتفي التراكم التاريخي واتخذوا اللغة والثقافة العربية أداة للتفكير والكتابة ومن أهم أعلامهم، سعدية الفيومي)¹.

- سعدية بن يوسف الفيومي (882 م-942م)

(ولد بفيوم 882م لم يعرف عن فترة تعلمه إلى القليل ولم يبتعد عن المنهج المتبع آنذاك بمصر إذ ينهل من مناهل اليهودية التقليدية التوراة والتلمود وما إرتبط بهما من معارف ويستفيد من المناهج العربية الإسلامية وهذا ما يتضح في مؤلفاته، التي أهمها تفسير كتاب المبادئ، وكتاب الضمانات، والإعتقادات ويعكس الكتاب آراء المتكلمين المسلمين خصوصا المعتزلة منهم)²، وطبيعة الفكر الفلسفي في الأندلس تعكس التقارب في طرح الأفكار الفلسفية داخل الفرق الكلامية وإنعكاسات هذا في الفلسفات الأخرى اليهودية والمسيحية تتجسد من ناحية الحاج الفلسفي.

أعلام الفلسفة اليهودية

تميزت الفلسفة اليهودية بالإهتمام بقضايا متنوعة هدفها توضيح طبيعة العهد القديم، وإحداث تقارب مع الفلسفة اليونانية التي وصلتهم عن طريق الترجمة فأخذوا منها العقل أو اللوغوس عن

¹ - أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ص 32.

² - المرجع نفسه، ص 35.

طريق التأويل مثلما (إستطاع فيلون أن يقدم نظرية فلسفية على فكرة اللوغوس وتجسد هذا في فترة رخاء نعم بها اليهود في مصر إن قرنت بحالة اليهود في البلاد العربية)¹ وأهمية الفلسفة اليهودية عبر عنها فيلون بالإضافة إلى موسى بن ميمون وسعدية الفيومي، وأخترنا تجربة فيلون الدينية، بالإضافة إلى فلسفة موسى بن ميمون.

فيلون الإسكندراني PHALOND Alexander

لإهتمامه البالغ بالثقافة والحجاج الفلسفي اليوناني يسميه البعض بأفلاطون اليهود (وفيلون اليهودي ولد في الإسكندرية 20 ق.م وكان يمثل هذا الفيلسوف الإنعكاسات الأكثر دلالة في النزعة التوفيقية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، تلك التوفيقية التي يلاقي بين الفكر اليوناني والفكر العبري)².

وفي هذه المرحلة تداخل الفكر اليوناني بالروح الشرقية الفلسفية فبرزت نزعات إشراقية، حيث نجد لأول مرة الحقيقة الدينية وقد وضعت في صيغة فلسفية عند فيلون الإسكندراني الذي يعد رجل ديني أكثر مما يعد فيلسوفا لأن الأصل عنده كان الدين اليهودي.

ولا نعرف شيئاً عن حياته سوى أنه من مواليد الإسكندرية وبها عاش وتعلم دراسته اليونانية كلها، وكان يعرف العبرية وكانت أسرته من أكثر الأسر ثراء، ويذكر عنه أن طائفته أرسلته إلى الإمبراطور كاليجونلا في عهد روما ليشكو إليه سوء معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملته.

¹ - ماهر عبد القادر محمد وحريي عباس عطية، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دن، 2000، ص 53.

² - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط3، 2006، ص 490.

(أما في العصر الهلنستي فقد إنتعش اليهود وخاصة في فلسطين وتأثروا بالحضارة الإغريقية ودعو إلى الثقافة الإغريقية ولما تأسست بها الإسكندرية أقام بها الكثير من الفلاسفة وإستطاعوا أن ينعموا بمظاهر الحضارة اليونانية)¹.

لقد إستطاع فيلون أن يجمع بين الفكر اليوناني والعقيدة اليهودية، وبعبارة أخرى بين التفكير العقلي والفهم النقلي، إلى درجة أنه صار نموذجا للتوفيق داخل الفلسفة المسيحية أو الفلسفة الإسلامية.

وعليه ما هي أهم تجليات محاولته التوفيقية بين الدين اليهودي والفكر اليوناني الفلسفي؟

لقد كان (فيلون الإسكندراني أشهر فلاسفة اليهود في القرن الأول الميلادي وهو زعيم مدرسة فكرية أنشأها في الإسكندرية جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون)²، ونجد فيلون مؤمنا كل الإيمان بالعقيدة اليهودية، يؤمن بكتبها ويعتقد أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون إلا إلهية صادرة عن وحي إلهي، وإلا لما إستطاعت البقاء تلك المدة الطويلة.

وفي الوقت ذاته إعتنى كل العناية بالفلسفة اليونانية، إلى درجة أنه لقب بأفلاطون اليهود مع فارق بين الفلسفة اليونانية والأقوال الدينية، لأن الأقوال الدينية أكمل وأتم وإن كانت أقل تفصيلا وتدقيقا بينما الفلسفة اليونانية أقل شمولاً ولكنها أكثر تفصيلاً وأدق صياغة.

إن ثقافة فيلون اليونانية جعلته يتكون من خلال التراجم اليونانية للنصوص العبرية، (حيث يعتبر فيلون الإسكندراني أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في ذلك العصر وكان كبير

¹ - ماهر عبد القادر محمد وحريي عباس عطية، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 53.

² - المرجع نفسه، ص 54.

المنزلة بين أبناء جنسه اليهودي وكان على علم ودراية خاصة باليهودية والفلسفة الإغريقية¹، الأمر الذي دفعه إلى إدراك ما بين الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية من تعارض وعلى هذا الأساس إقترح طريقين للتفريق بينهما:

أ- **الطريق الأول:** مفاده الاعتقاد في تأثير الديانة اليهودية في كل التفكير اليوناني.

ب- **الطريق الثاني:** يقوم على التأويل الرمزي فقد شبه الجسم والمعنى الرمزي بالروح، والإقناع والخاصة تأخذ بجوهر معانيها وهنا يمكن جوهر التفلسف في التوراة وبالتالي من الضروري تأويل النصوص التي تثبت الرب، (حيث وجد فيلون طريقة التأويل الرمزي والمجازي في عصره واستخدمها في توضيح طبيعة الإنسان وهذا من خلال العلام الإغريقي ومختلف الأساطير اليونانية والقصائد الهومرية)².

التأويل الرمزي عند فيلون الإسكندراني

نلمس التأويل عند اليونان في أساطيرهم وتفسيراتهم الانطولوجية (فكانت الرواقية هي التي استخدمت هذه الطريقة في تفسيرها الميثولوجيا اليونانية وآلهة الدين الشعبي، وإستعمل فيلون الإسكندراني هذه الطريقة لتأويل قصص التوراة ذلك أنه من أغراض المجاز الأساسية تحويل أشخاص التوراة إلى نحو حسن أو سيئ من وجود النفس)³.

¹ - ماهر عبد القادر محمد وحريي عباس عطية، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، ص 54.

² - المرجع نفسه، ص 55.

³ - المرجع السابق نفسه، ص 55.

فتمثيل النفوس عند **فيلون الإسكندراني** يقوم على ثنائية الفضيلة والرذيلة من خلال طبيعة الإنسان الذي يبحث عن السرور واللذة أو الشر، وإستخدم **فيلون** الرمز كثيرا في فلسفته وهذا ما نجده من خلال تأويله للتكوين (فقصة الخليقة والتكوين من مبادئها حتى ظهور موسى تمثل لنا تقلب وتبذل النفس البشرية، وهي في أول الأمر غير مكترثة بالأخلاق ثم تصبح ملتفتة إلى الرذيلة وأخيرا حينما لا تكون الرذيلة غير قابلة للشفاء، فهي راجعة تدريجيا إلى الفضيلة وفي هذه القصة نجد أن كل مرحلة تمثل شخصية، فآدم هو الشخصية التي لا إلى الفضيلة ولا إلى الرذيلة، يخرج من هذه الحالة بالإحساس حواء، وهي بدورها تغويها اللذة (الحية) وبهذا تلد النفس العجب قبيل مع كل ما ينبع من ذلك من سوء، ثم مجد الخير **هبيل** يخرج من النفس ويبتعد عنها أخيرا تموت في الحياة الأخلاقية)¹.

إن محاولة فلسفة الدين اليهودي عند **فيلون** كما تظهر في مؤلفاته "دوام العالم" وفي "العناية" لم تتطور بالمقارنة مع ما سيحدث في التجارب الدينية اللاحقة.

موسى بن ميمون

(موسى بن ميمون زود الأجيال بمعلومات كبيرة عن ذاته سواء في رسائله أو وثائقه التي تم الإحتفاظ بالكثير منها، وعرف بأسماء عربية فاسمه العبري موشيه بن ميمون، كما عرف في اللاتينية باسم ميمونادس وعرف في العبرية باسم رامبام، هذا إختصار الإسم الذي يعني الحاخام موسى بن ميمون، أما إسمه العربي فهو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي الأندلسي الإسرائيلي، وعرف أيضا باسم المعلم، ولد في قرطبة باسبانيا ما بين 1135-1138،

¹ - المرجع نفسه، ص 54.

توفي في عام 1204 وكانت قرطبة في ذلك الحين عاصمة للأندلس وأهم مدينة في أوروبا، وعاش اليهود حالة من الإزدهار الثقافي في الأندلس)¹.

ويعتبر موسى بن ميمون من مصادر الفلسفة اليهودية لأنه إشتغل بالمنطق والطب وعمل على البرهان لإثبات وجود الله، وأهم عمل له كتاب **دلائل الحائرين** (كتب بن ميمون عدة كتب من بينها مقال في صناعة المنطق وكتب عن التنثية والتوراة وكتاب **دلائل الحائرين**، وتتوعت مؤلفاته بين الشريعة الفلسفة والطب، يرى بن ميمون الفلسفة قبل أرسطو لا تستحق أن تسمى فلسفة كاملة وإهتم بأعمال **جالينيوس** و**ببلييموس**، وأهم عمل له **دلائل الحائرين** الذي أظهر فيه معرفة بأرسطو وأشار إليه كثيرا وأعتبره رئيس الفلاسفة)².

¹ - تمار رودافيسكي، موسى ابن ميمون، تر جمال الرافي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 21.

² - المرجع نفسه، ص 27.

1) فلسفة موسى بن ميمون

المدخل الجوهري لفلسفة موسى بن ميمون تتضح لنا من خلال مؤلفه دلائل الحائرين حيث تعرض للفلسفة والمذاهب الكلامية الإسلامية في العصر الوسيط، كما إهتم بالبحث في اللغة والمنطق والعلل الأرسطية والتأويل فهو المعلم الأول بالنسبة للفلسفة اليهودية وإهتم بالبحث في الوجود، وهذا يعكس مرجعياته المختلفة، فما هي أهم مرجعياته؟ وفيما تتجسد القضايا المهمة في فلسفة موسى بن ميمون؟

أولاً: مرجعيات موسى بن ميمون

لم يترك بن ميمون منهلاً من مناهل الثقافة المعروفة في عصره إلا رجع إليه، (ورغم أنه لم يشر إلى مراجعه إلا نادراً فقد إستخرج الباحثون مصادره التي نقل منها، وهي عربية كما إعتد على مؤلفات يهود مثل سعدية الفيومي، وسليمان بن جبرول، وعاد إلى أفلاطون وأرسطو، والإسكندر الأفروديسي وبطليموس وجالينوس، وأخذ عن الغزالي وابن باجة، وابن طفيل وابن رشد، كما إضطلع على مذاهب المتكلمين من معتزلة وأشعرية)¹.

فلسفة بن ميمون تطل على مشارق متنوعة بين اليهودية والكتاب المقدس والفلسفة الإسلامية من خلال علم الكلام واليونانية حيث إعتد بدرجة كبيرة على أرسطو وتأثر بفلسفته المنطقية والعلمية، إضافة إلى حضور الفكر الأندلسي من توحيد ابن باجة وعقلانية ابن رشد، وتنوعت قضايا فلسفة موسى بن ميمون بين الوجود، الطبيعة، المعرفة واللغة، فما هي أهم القضايا الفلسفية التي تطرق إليها موسى بن ميمون؟

¹ - أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ص 144.

2) أهم القضايا الفلسفية عند موسى بن ميمون

2-1) العلل والطبيعة عند بن ميمون

لا يخلو الحديث عن العلل والوجود دون العودة إلى فلسفة أرسطو ومباحثها في الكشف عن حقائق الطبيعة وما وراء الطبيعة وموسى بن ميمون يعطي بعدا لاهوتي للعلل والوجود فهي نابعة من الله وفي هذا يختلف عن فكرة المحرك الأول عند أرسطو، يقول بن ميمون في دلائل الحائرين (الله علة الموجودات والفلاسفة يسمون الله تعالى العلة الأولى والسبب الأول، وهؤلاء المشهورون بالمتكلمين يهربون من هذه التسمية جدا ويسمونهم الفاعل الأول ويضنون أن فرقا عظيما بين قولنا سبب وعللة وبين قولنا فاعل)¹.

فموسى بن ميمون يجمع بين فكرة العلة والفاعل ويعتبر بأنه لا فرق بينهما لأن العلة تتقدم مع معلولها، كما يتحدث عن العلم الطبيعي من خلال العلل الأرسطية وعلم الكلام، يقول (في العلم الطبيعي وجود الاسباب لكل ما له سبب وأنها أربعة، مادة وصورة وفاعل وغاية، وأن منها قريبة ومنتها بعيدة، وكل واحدة من هذه الأربعة تسمى سببا وعللة ومن آرائهم كما يذكر بن ميمون بأنه لا يخالفها هي الله وهو الفاعل وهو الصورة وهو الغاية لذلك قالوا أن الله تعالى سبب وعللة)².

¹ - موسى بن ميمون، دلائل الحائرين، ص 170.

² المصدر نفسه، ص 171.

2-2) الطبيعة البشرية عند بن ميمون

(يوضح بن ميمون المفهوم الفلسفي للإنسان حيث ميز بين الأمور المادية والغير مادية، ووضع عدة معايير مختلفة لذلك وتنقسم الأمور المادية حسب بن ميمون من خلال طبيعة مادتها، من حيث تعدد الموجودات في العالم الدنيوي، وفي مقابل تمايز الاجرام السماوي على حساب على الإعتبارات الشكلية أي القوى المحركة للعقل)¹.

ومن خلال حديث بن ميمون عن الطبيعة البشرية فنجده يميز بين المادي والروحي ويعطي للعقل أهمية ويقسم الناس حسب طبيعة الإدراك وفي هذا الطرح يجمع بين طب جالينوس والعقل الرشدي (ويتكون البشر من مواد حسية وغير حسية، وحسبه تعمل هذه المواد معا بوصفها مكونات تحمل مادة وصورة حتى تتأتى لحظة الموت التي تخرج فيها الروح من الجسد ومثلما لا توجد للأرواح عناصر مادية أو قوى محركة فإنها لا تتمايز بعد موت الجسد)².

يتماشى بن ميمون في هذا الطرح مع فكرة ابن رشد بوحدة النفس وطبيعة الأرواح الغير مادية التي تكون لنا كتلة موحدة، كما يوضح بن ميمون وجود فوراق بين البشر ونجد الفلاسفة يصنفون مراتب الناس حسب تنوع القدرات والمواهب.

¹ - تمار رودافيسكي، موسى ابن ميمون، ص 154.

² - المرجع نفسه، ص 154.

2-3 التحليل اللغوي والمنطق عند بن ميمون

هدف موسى بن ميمون شرح المعاني الواردة في أسفار العهد القديم وتوضيح ما ورد فيها من مآثر شعبية وحكايات غامضة فيها لبس قصد تبيان صحة الشريعة وأنها خالية من أي تناقض وهذا ما يعكس لنا قداستها (ف نجد التحليل اللغوي الدقيق من أهم القضايا الفلسفية عند بن ميمون ويعتبر نفسه أنه مدين في نهجه التأويلي إلى أرسطو وإلى الفلاسفة المسلمين، وقد أكد بن ميمون من خلال دلائل الحائرين أن أحد أغراضه الأساسية تتمثل في التحليل اللغوي حيث أعطى أهمية كبيرة لإنتقاء الكلمات)¹.

والتحليل اللغوي عنده يجعل طبيعة اللغة إصطلاحية وليست طبيعية، الأمر الذي يجعل اللغة من صنع البشر وأنها ليست أزلية وقابلة للتغير لذلك لا بد من توضيح اللغة من خلال المنطق وهذا ما نسميه (بالتحليل اللغوي في إطار التحليل المنطقي الذي يهدف إلى إستكشاف الفكرة، ويركز المنطق على بنية الفكر الذي يتجلى في المفردات التي تنظمها ووفقا لموسى بن ميمون فإن عالم المنطق أهميته هي إزالة أي لبس ناتج عن ظواهر اللغة)².

أهمية اللغة تتضح لنا من خلال نصوص الكتاب المقدس لفهم التحليل وإستخدام التأويل والرمز لإبعاد الطابع الأسطوري عن النصوص الدينية وتوضيح حقيقة الحجاج اللغوي.

¹ - تمار رودافيسكي، موسى ابن ميمون، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص 54.

2-4) الزمان والكون عند موسى بن ميمون

مسألة الزمان والمكان تجعل دلالة اللاهوت عند بن ميمون من حقيقة إلهية على غرار الفلسفة اليونانية (ف نجد النظر الفلسفي في مسألة الزمان والكون يدعم التأمل اللاهوتي في قضية الخلق، حيث كرس بن ميمون جهدا كبيرا لإثبات أن رؤية التوراة للخلق لا تتماشى مع نظرية أرسطو فوجود الكون من المنظور الأرسطي يتناقض مع فكرة الخلق الواردة في التوراة وأدرك موسى بن ميمون أن نظرية أرسطو الخاصة بقديم الكون لم يتم البرهنة عليها بشكل قاطع، ومن هنا فإن نظريتي أرسطو وأفلاطون حول الزمان والمادة على قدر كبير من الأهمية في تشكيل خطاب بن ميمون المتعلق بالخلق وكان هذا الخطاب متلاحما مع الفكر الديني اليهودي الذي ألبسه بن ميمون ثوبا جديدا)¹.

فاللاهوت عند بن ميمون يوضح لنا طبيعة كل فلسفة من حيث العقلانية اليونانية والنص الديني في اليهودية رغم وجود تقاطع في النهج العقلي لتوضيح بعض المسائل الوجودية والمعرفية لكن طبيعة الحقائق عند موسى بن ميمون مقدسة، وفكرة الرب عنده مأخوذة من سفر التكوين تختلف عن محرك أرسطو الأول لذلك معرفة اليونان نسبية.

وكانت هذه أهم المسائل الفلسفية التي عالجها موسى بن ميمون وسنجد تطورها في علم الكلام الإسلامي وعند آباء الكنيسة في الفلسفة المدرسية.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 121.

علاقة الفلسفة اليهودية بالفلسفة الإسلامية

إمتداد الفلسفة اليهودية داخل الفلسفة الإسلامية تجسد لنا من منظورين، الأول علم الكلام وتبديرات الفرق الكلامية، والثاني فلاسفة الإسلام خصوصا مدرسة الأندلس وحركة الترجمة التي كانت سائدة في فترة القرون الوسطى إضافة إلى إطلاع فلاسفة الإسلام على أفكار فيلون الإسكندراني وموسى ابن ميمون، وكذا تشبع الإسماعيلية بأفكار صوفية تقترب إلى القبالة ووحدة الوجود عند ابن ميمون في مؤلفه **دلائل الحائرين**، فما هي أبرز نقاط التداخل بين الفلسفتين اليهودية والإسلامية؟ وماذا ترتب على المقاربة بين الفلسفتين؟

كما ذكرنا في بدء الحديث عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة اليهودية والفلسفة الإسلامية نوجزها في مستويين الأول كلامي، والثاني فلسفي عند فلاسفة الإسلام.

أولا: المستوى الكلامي

حيث (كان علماء الكلام يمثلون مدرسة من المفكرين الإسلاميين الذين قدموا تفسيراً صارماً للقرآن الكريم، وانقسم علماء الكلام إلى مدرستين، الأولى مدرسة المعتزلة التي كانت تمثل التيار المعتدل من علماء الكلام، والتي تؤكد على حرية الإنسان، وعرف أتباع هذه المدرسة باسم أهل العدل والتوحيد، أما المدرسة الثانية وهي مدرسة الأشاعرة التي أكدت على تقدير الله لأفعال البشر، واستعرض **بن ميمون** في تفسيره **للمشناة** بعض مواقف علم الكلام وأعرب عن رفضه له، وحينما كتب **موسى بن ميمون** مؤلفه **دلائل الحائرين** استعرض علم الكلام وخصص له أربعة فصول وقدم معلومات عن مواقف المتكلمين)¹.

¹ - تمار رودافيسكي، موسى ابن ميمون، ص 30.

وإهتمام ابن ميمون بعلم الكلام الإسلامي له ما يبرره من طبيعة الحجاج المستخدم في تفسير الإرادة، وأفعال العباد وإثبات وجود الله، بإضافة إلى مسائل التأويل في علم الكلام وفهم القرآن، ومن خلال حجاجهم الديني والأصول الفلسفية اليونانية سعى إلى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والفلسفة اليهودية من ناحية.

ومن ناحية أخرى يحاول إعتقاد الحجاج الديني لإثبات وجود الله وضرورة العقل وأحكامه في مسائل الفلسفة والدين، وعن أهمية التأويل يشدد فيلون الإسكندراني خصوصا وأنه تميز في استخدام الرموز ويتقارب في هذا الطرح مع إخوان الصفا، في تأويلهم الرمزي والعددي (ففي خصم التيارات الفكرية والدينية ظهرت في هذه الحقبة في الإسكندرية مذهب الفيثاغورية هي الأصل الذي نبحث منه جماعة إخوان الصفا وخلان الوفاء الإسماعيليين)¹.

وهذا يعكس مدى الترابط في الملل والنحل منذ العهود الشرقية واليونانية في فلسفة الوجود مع فيثاغورس، وفي غنوصية فيلون الإسكندراني وعرقان الإسماعيليين خصوصا وهذا كان وقت متزامن أبيع فيه للوغوس مسايرة الإيمان فيما يعرف بالنزعات التوفيقية بين الحكمة والشريعة.

ثانيا: المستوى الفلسفي لعلاقة اليهودية بالمسيحية

يتضح لنا فلسفيا أهمية الترجمات الإسلامية والشروحات الكبرى لإبن رشد في نقل الثقافة والفلسفة المشائية إلى القرون الوسطى، وتشبع الفلسفة اليهودية بالأفلاطونية، إضافة إلى مدرسة آباء الكنيسة وأفلاطونيتهم، حيث (كان اليهود قبل الإسلام قد برعوا في وصف اللغة العبرية

¹ - علي حربي وعباس عطيتو عطية- دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 2000، ص

وأصولها في نص التوراة حتى يسايرون كل تفصيل من جوانب التشريع وأكثرها من إبداعات في هذا المجال، وإذا كان النظر العقلي عند فيلون الإسكندراني إرثاً يوناني لا يعكس أي حقيقة فكرية، فإن علم الكلام في الأندلس إزدهر حيث كانت الأندلس مرتعا للفكر اليهودي¹.

تطور العلوم والفنون والترجمات في الأندلس أصبح مادة دسمة لتنمية الفلسفة اليهودية التي تجسدت مع فيلون الإسكندراني وموسى بن ميمون في الكثير من الأعمال، التي نجدها تحاكي أفكار المعلم الأول الفارابي والشارح الأكبر ابن رشد وتتجسد لاحقاً في الترجمات اللاتينية، لذلك (إرتقاء الفكر العبري في الأندلس من مجرد خطابات تأملية دينية إلى مستوى فلسفي يؤهله ليلتحق بمسالك أرسطو كان بقلم عربي إسلامي فلسفي إنساني)²، هذا من خلال فكر وفلسفة ابن رشد وأهميته البالغة في شرح فلسفة أرسطو وانتقالها إلى الفلسفة اليهودية (فإن كان أرسطو شرح الطبيعة فإن ابن رشد شرح أرسطو)³.

ومن خلال التقاطع بين الفلسفتين اليهودية والمسيحية تتضح إشكاليات فلسفية متنوعة مرتبطة باللوغوس، واللاهوت والميتافيزيقا والطبيعة، وهذا بإعتماد مفاهيم التأويل والنقل، والتوفيق لبلوغ تراكم فلسفي لا ينكر العقل بل يجعله يلازم الدين، دونما إختلاف وتحصيل النهج العقلي في تأكيد البراهين التي من خلالها يصل الفرد لإدراك الحقيقة.

¹ - أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، ص 17.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - المرجع نفسه، ص 21.

الفلسفة المسيحية

مدخل تاريخي إلى الفلسفة المسيحية

في مرحلة لاحقة للعقل اليوناني شهدت ظهور الفلسفة الهلنستية وطغيان الطابع الروحي على التفكير هذا كان تمهيدا للبعد اللاهوتي وظهرت الفلسفة المسيحية عند آباء الكنيسة أو ما نسميه

بالفلسفة المدرسية، التي كانت تلقن في المدارس على يد الآباء (منذ القرون الأولى أطلق المسيحيون على أنفسهم لقب الأب للتعبير على أنه هو الذي يلدهم لحياة الإيمان)¹.

والفلسفة المسيحية في بدايتها تميزت بثنائية التقيد للعقل اليوناني، ويقابله الترحيب بالفلسفة اليونانية فالقديس تورتوليان رفض العقل والفلسفة اليونانية، وحثه في هذا أنه لا حاجة للمسيحيين بعد الإنجيل إلى أفلاطون وأرسطو (كونه يعتبر المسيحيين جسد واحد يجب على أعضائه أن يظلوا متحدين لصالح المجموع ولتنشيط الحق)².

فبداية المسيحية كانت نقد الوثنية ولليونان لكن آباء الكنيسة دافعوا عن الفلسفة اليونانية باعتبارها طريق للحق، خصوصا أن المسيحية نشأة في بيئة وثنية رومانية، الإمبراطور فيها هو الكاهن الأعظم وصاحب السلطة المطلقة في دولته وكان يضطهد المسيحيين (حيث كان اضطهاد الرومان للمسيحيين اضطهاد سياسي حتى منتصف القرن الثالث وجاء قسطنطين زريق 306م - 337م وأعلن عن سياسته التسامحية مع المسيحية وبسط للكنيسة راحتها هذا ما جعله الحواري الثالث عشر للمسيح)³.

مصادر الفلسفة المسيحية

الفلسفة المسيحية تطل على مشارق فلسفية متنوعة ساهمت في بناء الفكر الأوربي في العصر الوسيط، وهذا على إختلاف المرجعيات سواء كانت فلسفية يونانية، تقول بالعقل أو اللوغوس الذي

¹ - حنا الفاخوري وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسيه، لبنان، ط1، 2001.

² - شارل جيبير، المسيحية نشأتها وتطوها، تر عبد الحليم محمود، منشورات مكتبة ميدادات، دط، بيروت، ص 23.

³ - رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002، ص 15.

هو أساس الحكمة والفضائل، وبين الإشراق الأفلاطوني من الأفلاطونية المحدثة إضافة إلى البعد القداسي الديني من خلال العهد القديم والعهد الجديد.

وكل هذه المرجعيات الفلسفية تجسدت حسب طبيعة إشكاليات الفلسفة المسيحية بين ثنائية العقل والإيمان واللاهوت والناسوت، وربط الدنيوي بالأخروي، والغنوصية وإشراق المعارف وإحكامه إلى مختلف التصورات الميتافيزيقيا، من خلال اللاهوت المسيحي وفيما يلي نوضح أهم مصادر الفلسفة المسيحية أو السكولائية في العصر الوسيط.

1- الفلسفة اليونانية

عالمية الفكر اليوناني الذي إكتمل مع الحرية الديمقراطية وإشتغال الفلاسفة بمشاغل الوجود والمعرفة والقيم، إضافة إلى التحول اليوناني في مستوى الوجود من الطبيعي إلى الإنساني مع سقراط وأفلاطون، وأرسطو ساهم هذا في ظهور أفلاطونية ونزعة أرسطوطاليسية داخل الفلسفة المسيحية.

رغم الإختلاف في طبيعة الفلسفتين بين العقل واللاهوت، الذي يعني في القرون الوسطى المسيحية وظهور الطابع الجديد الغنوصي للمعرفة مع بروز حجاج إيماني به يبرهن ولا يبرهن عليه كونه تصديق، وهذا فيه تميز عن الحجاج الفلسفي عند اليونان إلا أن آباء الكنيسة سعو حثيثا للتوفيق بين الفلسفتين اليونانية والمسيحية وإلى إحداث تقارب في مسائل الوجود والمعرفة والقيم حيث (قام الآباء بدور الناقل أو الجسر بين الفلسفة القديمة والفلسفة الوسيطة، وقد حضى الآباء

بسبب قداسة أعمالهم وخدماتهم برضى الكنيسة وموافقتها)¹، فأقاموا الحجاج الديني بما يتوافق وفلسفة اليونان الأرسطية والأفلاطونية دونما رفضها وهذا بإبتداع منهج جديد، لا يقوم على العقل وحده ولا على الإيمان وحده بل العلاقة بينهما شرطية أي الإيمان وشرط التعقل وهذا ما عمل على إثباته **القديس أوغسطين والقديس أنسلم وتوماس الإكويني**.

كما نجد النزعة الرواقية داخل الفلسفة المسيحية وحضور مختلف إشكاليات اليونان من منطق ومعرفة وأخلاق ونظريات في السياسة داخل الفلسفة المسيحية رغم تباين آراء الفلاسفة بين مؤيد ومنقذ للفلسفة اليونانية، وهذا ما يعكس أن الإيمان المسيحي لم يتحرر من مختلف التأثيرات الهلينية للفلسفة اليونانية فكانت (تأثيرات الثقافة الهلينية تدفع الإيمان في إتجاهين مختلفين، وهما إكمال تحول المسيحية إلى فلسفة إلهامية وثانيها هو إزدهار الغنوصية)².

وكان آباء الكنيسة شراح لأفلاطون وأرسطو فالأفلاطونية نجدها عند **القديس أوغسطين** خصوصا في مؤلفه **مدينة الله**، وفي أعمال **الإكويني الخلاصة اللاهوتية**، والنفس عند أنسلم ومبدأ التعقل، وبرز التأثير اليوناني على الفلسفة المسيحية منذ مراحل نشأة هذه الفلسفة داخل البيئة اليهودية والوثنية.

وقد (كان التأثير الفلسفي على المسيحية في أوائل عهدها حينما إعتنقها رجال مثقفون بالثقافة اليونانية المنتشرة في ذلك الوقت في حوض البحر الأبيض المتوسط وهو الوقت الذي كان

¹ - علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، دار إقرأ، بيروت، ط01، ص 83.

² - شارل جنبير، المسيحية نشأتها وتطوها، تر عبد الحليم محمود، منشورات مكتبة صيدا - بيروت، دط، دس، ص 112.

فيه المسيحيون مضطهدون من قبل اليهود والوثنية الرومانية)¹، حيث رفض اليونان المسيحية وحدوا من إنتشارها كونها تتعارض في تعاليمها مع المعتقدات الوثنية.

ورغم هذا فإن أهم إشكاليات الحجاج العقلي واللاهوتي عند آباء الكنيسة هي محاكاة لأعمال اليونان، ورحب القديس أوغسطين بفكر أفلاطون من خلال جمهوريته المثالية حيث ينظر القديس أوغسطين إلى أفلاطون (على أنه من أعظم الفلاسفة الوثنيين وهو الفيلسوف الذي يقترب تفكيره إلى حد كبير من تفكير المسيحية)².

وأضاف أوغسطين وغيره من آباء الكنيسة إلى تراث الفلسفة اليونانية الكتاب المقدس سواء العهد القديم أو العهد الجديد، لكن هذا لا ينفي تباين آراء الفلاسفة المسيحيين حول مصداقية الفلسفة اليونانية وأهميتها التي تأرجحت داخل الفكر المسيحي بين إتجاهين، الأول يرفض الفلسفة اليونانية وحثهم في هذا أنه يجد المسيح والإنجيل ليسوا في حاجة إلى شي.

في المقابل التيار الثاني الذي يمثله آباء الكنيسة دافعوا عن الفلسفة اليونانية وساهموا في بناء نزعة توفيقية بين الفلسفتين وتوضيح طبيعة كل فلسفة ومنهجها وتلازمها الذي هو من تكامل الإيمان والعقل لبلوغ الحقيقة وفيما يلي سنعرض أهم المواقف التي رفضت الفلسفة اليونانية، والمواقف المؤيدة لها.

¹ - داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن، دار زهران للنشر والتوزيع، ط01، 2003، ص 203

² - ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية ص 268

أولاً: الموقف الراض للفسفة اليونانية

مثل هذا الطرح القديس ترتوليان الذي يعتبر أن المسيحية إكتملت مع المسيح وهو المعلم وأكتمل الدنيوي بالأخروي، الأمر الذي يجعل المسيحية في غنى عن الثقافة الوثنية وهو (الإتجاه السلبي إزاء الفلسفة، ورفضها رفضاً باتاً بحجة أن الدين المسيحي يكفي العقول، والضمان وأنّه لا حاجة لغيره)¹.

وهذا يجعل ترتوليان يعتبر المسيحية تقوم نفسها بنفسها، ولدت كاملة وأما حجج الفلاسفة أغاليط تتعارض مع اللاهوت المسيحي حيث (كان ترتوليان عدو للفلسفة فهي عنده تسبب تعدد البدع ورأى أنه لا سقراط ولا أفلاطون، يصلحان في المقابل أن أبسط مسيحي مؤمن يعرف من الله وخلقه)².

وبهذا فند كل المسائل العقلية الأنطولوجية من الفلسفة اليونانية جاعلاً الكتاب المقدس هو مصدر المعرفة الحقيقية.

ثانياً : الموقف المؤيد للفلسفة اليونانية

أوغسطين ومن سار على نهج الأوغسطينية من آباء الكنيسة لم يكتفوا بتوظيف مصدر واحد ومنهج متفرد لبلوغ الحقيقة وإدراك الوجود، بل للعقل حضور بالقدر الذي لا يتعارض فيه مع الإيمان وهذا ما نسميه بالنزعة التوفيقية، مع أنسلم والقديس توماس الإكويني وحجتهم.

¹ - علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص 83.

² - المرجع نفسه ص 84.

ما دامت حقائق الإيمان لا تمس فلا مانع من الإنتفاع بالوثنيات بحيث ينتقى فيها ما هو موافق للدين ويناسبه ويمثل هذا الرأي إبان القرن الرابع وصار هو الموقف الأقوى حجة¹.

حيث يصبح العقل اليوناني أداة للبرهاني اللاهوتي المسيحي وهذا من خلال الحقيقة العلمية الفلسفية، التي يتعقل بها الإيمان وهو السابق للمعارف ومرشدها إلى الحق، وتأييد العقائد الدينية يحتاج إلى برهان عقلي وروحي فأصبحت الفلسفة اليونانية تدخل إلى قضايا المسيحية وفي البرهان الميتافيزيقي، وطبيعة المسيح والأخلاق السياسية.

كما يرحب بهذه الفلسفة القديس أوغسطين الذي لا ينكر أهمية الفلسفات السابقة لكن يجعلها في مكانة ثانية لأن العالمية هي للمسيحية التي تحتل الصدارة، وهذا لأن الإيمان يكملها (فلا يحق للإغريق كما يذكر القديس أوغسطين في الكتاب الثامن عشر من مدينة الله، فالإغريق الذين أضفوا بصماتهم على الآداب الإنسانية جمالا أخاذا أن يطالبوا لحكمتهم بالأقدمية، ولا بالمقام الأول لأن الديانة المسيحية تحتوي على الحكمة الحقيقية)².

والحقيقية المسيحية هي في الصدارة لأنها تجمع الدنيوي بالأخروي، ومصدرها مقدس وليس قائم على العقل فقط أو التجربة الحسية، وكذلك جعل توماس الإكويني الحقيقة العلمية الحسية أو الإستنتاجية من مصادر المعرفة.

¹ - المرجع السابق، نفسه ص 84.

² - القديس أوغسطين، مدينة الله، الكتاب الثامن عشر، الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 2002، ص

ثانياً: الأفلاطونية المحدثة

الأفلاطونية المحدثة نسبة إلى **أفلوطين** (204-270 م) (فيلسوف أفلاطوني أستحدث ما يسمى بالأفلاطونية المحدثة، درس في الإسكندرية، كتب باليونانية سلسلة من المقالات وجمعها في ست مجموعات كل مجموعة فيها تسع مقالات)¹.

وجوهر فلسفة **أفلوطين** الروحية الإشرافية تسمو إلى الإرتقاء من الماديات لأنها عقبات حقيقية أمام إدراك الحقيقة، وسبب للشروع لأبد للإنسان أن يترفع عليها، وهذا الترفع والتعفف نجده في الفلسفة المسيحية التي تعمل من أجل توجيه المدينة أي الجسد الواحد، إلى الحياة الأخروية وتجاوز كل الشرور ليصل العقل إلى المعرفة الإيمانية وهذا ما يعرف بالغنوصية.

وفي الفلسفة المسيحية الإنسان وزنه من طبيعة حبه، والمحبة هي في المسيح وهي الفكرة الجوهرية عند آباء الكنيسة خصوصاً **القديس أوغسطين**، وهو نفس المبدأ في فلسفة **أفلوطين** (الذي كان تأملياً يهدف إلى الإتصال بمبدأ أعلى أو إلى الخير الواحد، والشعائر الدينية ليست مجدية لهذا الغرض والذي نحتاجه حسب **أفلوطين** هو صعود الروح بعيداً عن الأشياء المادية)².

كون الأشياء المادية هي سبب الشرور الأخلاقية وتضع الإنسان في الشك ويعيش القلق، وفلسفة **أفلوطين** تجسدت في أعمال **القديس أوغسطين** من خلال حديثه عن المدينة السماوية

¹ - هوترتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر نجيب الحصادي ج1، المكتب الوطني للبحث، ليبيا، دط، 2003، ص 82.

² - إبراهيم زكرياء، إعتراقات القديس أوغسطين، مطابه الهيئة المصرية، مصر، ط01، 1994، ص 11.

والأرضية وطبيعة كل مدينة حسب المحبة سواء كانت لله أم للذات والشيطان وكما يوضح إتيان جيلسون (أن فلسفة الأفلاطونيين المحدثين إقتربت بأوغسطين إلى أعتاب الكنيسة المسيحية)¹.

لذلك يعتبر القديس أوغسطين مؤسس الأفلاطونية المحدثه في الفلسفة المسيحية، وللأسف الأفلاطونية المحدثه بنية أساسية داخل الفلسفة المسيحية (خاصة أفلوطين على إعتباره صاحب أهمية تاريخية كانت من العوامل التي شكلت المسيحية في القرون الوسطى واللاهوت الكاثوليكي)²، حيث إنتقلت الأفلاطونية عن طريق فلاسفة العرب واليهود بواسطة المصادر القديمة التي تم ترجمتها إلى العربية، (ويمكن القول أن فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن سينا كانوا بمثابة همزة وصل لنقل الآراء الأفلاطونية إلى العالم المسيحي وذلك في ثوب شرقي ديني جعل هذه الآراء، أقرب إلى الجو الديني السائد في القرون الوسطى)³.

وساهمت فلسفة أفلوطين في حل مشكلات في الفلسفة المسيحية خصوصا المرتبطة باللاهوت وهذا ما يعكس محاكاة الفلسفة المسيحية الأفلاطونية المحدثه من مسائل عديدة تظهر التوافق العقلي والإشراقي في البرهنة والمنهج، خصوصا موقف أفلوطين من المادة التي هي من أدنى المراتب، وهذا تصور يعكس حياة الزهد والتعفف المسيحية في تجاوز أسباب الشرور النابعة من الإرادة الشريرة التي تعمل على إشباع الملذات.

¹ - إتيان جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، مصر، ط 03، 1996، ص 96.

² - ماهر عبد القادر محمد وحري حطيتو، دراسات في فلسفة العصور، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 2000، ص 196

³ - المرجع نفسه ص 196.

ومن ناحية أخرى فكرة الإتحاد في الأفلاطونية المحدثة تعكس التصور المسيحي للحلول أي حلول اللاهوت في الناسوت وإثبات المسيح ومسيحيته بما يعطي للكنيسة سلطة ووصاية على شؤون البشر، وهذا الطرح ساد طوال فترة القرون الوسطى الأوربية ونظر له آباء الكنيسة إضافة إلى تأويل الكتاب المقدس.

3) النصوص المقدسة العهد القديم والعهد الجديد

إعتمد المسيحيون على العهد القديم والجديد في تأسيس حجاج فلسفي لا يتعارض مع الإيمان لبناء فلسفة تشتغل بمختلف قضايا المعرفة والوجود والقيم، تدافع عن نفسها من الوثنيين وتوجه إلى الإيمان والتعقل، وبذلك تعكس هذه الفلسفة تحول فلسفي في المفاهيم بإضافة اللوغوس اليوناني أصبح الإيمان سبيل إلى المعرفة بل وهو أساسها، ويعتبر العهد القديم والجديد من أهم مصادر هذه الفلسفة.

أولاً: العهد القديم

دراسة العهد القديم مسألة جوهرية لإنطلاق فلسفة مسيحية خصوصاً لتقارب موضوعاتها في المسيحية حيث (نجد تاريخ العهد القديم يشمل ثلاث موضوعات، أولها تاريخ بعض أسفار العهد القديم، وثانيها هو البحث في ظروف وزمن نشأة كل سفر من أسفار العهد القديم، وثالثها تاريخ جمع أسفار العهد القديم وتحديده، وقانونية الأسفار قصد إستقصاء نشأة هذه المجموعات من الأسفار وتاريخها وهي كتاب اليهودية المقدس، الذي إعتبرته المسيحية أيضاً كتاب مقدس)¹.

¹ - مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، دط، 1968، ص 03.

ومختلف أسفار الكتاب المقدس هي نواميس تنظم الحياة الإيمانية للأفراد، وتشرح قواعد الإيمان، وما دامت تهذيباً للنفس والسلوك فلها بعد أخلاقي وإجتماعي ومعرفي، ومضمونها يشمل (مجموعة من الأسفار المقدسة التي أعلن فيها الله ذاته للبشر وكان هذا الإعلان للشعب اليهودي أولاً، وهذه الأسفار تختلف موضوعاتها وأسلوبها ففيها تاريخ وفيها تراجم أشخاص، وفيها شرائع وقوانين وفلسفة وشعر ومواعظ وحكمة ونبؤات تهدف إلى كشف طريق الخلاص)¹.

وطريق الخلاص في العهد القديم نجده في الفلسفة المسيحية، أين ربط آباء الكنيسة الحياة الدنيوية بالحياة الأخروية، وكمال الحياة هو في هذا الخلاص لذلك يجب إتباع مخطط العناية الإلهية والإيمان بوعد الله الحق، ومقابل كل هذا كان تبرير كل تدهور وشر في إتباع العقل القاصر على إدراك الحقائق.

ومن الناحية المعرفية وجعل الإيمان يكمل العقل، ومن الناحية القيمة الأخلاقية فتبرير كل شر هو من إتباع الذات ومخالفة ما جاء في الكتاب المقدس، وتوجيه الرعية من مهمة الأب الذي يدعو إلى الإيمان الصحيح، أما مضمون العهد القديم من خلال أسفاره يتحدث عن خلق العالم إلى الطوفان ومن الطوفان إلى إبراهيم، ومن دعوة إبراهيم إلى خروج بني إسرائيل من مصر ومن خروج بني إسرائيل من مصر إلى بناء هيكل سليمان ومن بناء هيكل سليمان إلى سبي بابل ومن سبي بابل إلى ميلاد المسيح، وأهمية العهد القديم مغروسة في الإيمان المسيحي لبعده القداسي.

(فهدف الكتاب المقدس الأساسي أن نحيا حكاية نقية على الأرض والتمتع بحياة أبدية مع المسيح لذلك شدد الرب كما يذكر بولس حيث شدد على عهديه قديماً وجديداً بأهمية الكتاب

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 08.

المقدس)¹، وهذا الطابع الروحي الديني الذي يهدف إلى توجيه الإيمان وتنظيم الشؤون العامة قصد الخلاص والسعادة الأبدية، وهذا ما يوضحه القديس بولس باعتباره أن (دراسة الكتاب المقدس هي التي تقود إلى طريق الخلاص والإيمان بالمسيح)².

وأهمية أفكار الكتاب المقدس نجدها في تأويلات آباء الكنيسة وكذلك إعتمادهم على العهد الجديد الذي هو أهم مصدر من مصادر الفلسفة المسيحية.

ثانياً: العهد الجديد

إضافة إلى العهد القديم يعتبر العهد الجديد أهم مصادر الفلسفة المسيحية إلى درجة إعتباره إعادة لما جاء في الكتاب المقدس، وهذا لبعده الديني وتكييف العقل حسب الإيمان لنفي التعارض بين الفلسفة اليونانية والديانة المسيحية بوضع نشأة المسيحية.

(قدمت الكنائس منذ القرن الرابع الميلادي الأناجيل على أنها صنفين، منها الأناجيل الشرعية والأناجيل الغير شرعية، وتتضمن الأناجيل الشرعية - متى - مرقس - لوقا ويوحنا، أما الأناجيل الغير شرعية فأعدادها كبيرة تجاوزت المائتين، وصنفت جميع الأناجيل الشرعية والغير شرعية من بعد النصف الأول من القرن الأول ميلادي)³.

وتعني كلمة إنجيل من ناحية مدلولها المسيحي، البشارة والخبر السار وهذا الخبر تم التنبؤ به في العهد القديم، الذي يبشر بقدوم المنقذ والمخلص لذلك فكرة الخلاص أستلهمت المسيحيين

¹ - ملاك محارب، دليل العهد القديم، مكتب مصر للطباعة والنشر، مصر، دط، دس، ص 08.

² - المرجع نفسه، ص 08.

³ - سهيل زكار، الأناجيل النصوص الكاملة، دار قتيبة للنشر، سوريا، ط01، 2008، ص 12.

خصوصاً، وأنهم عاشوا الإضطهاد سواء من اليهود أو البيئة الوثنية التي نشأت فيها المسيحية قبل إعلان المسيحية الديانة الرسمية داخل الإمبراطورية الرومانية زمان الإمبراطور قسطنطين زريق، وإضافة إلى الأناجيل الشرعية المعتمدة في العهد الجديد نجد أعمال الرسل حيث (يحتوي العهد الجديد بالإضافة إلى الأناجيل الأربعة أعمال الرسل وهو كتاب يرجع إلى لوقا، مصنف الإنجيل الثالث، ويفترض أنه يتحدث عن الذين تولوا نشر المسيحية من الأوائل من الرسل لكنه يتحدث عن نشاطات شاؤول اليهود الذي بات يعرف باسم بولس الرسول، وهو المسؤول عن إنشاء المسيحية لأن أتباع المسيح عرفوا باسم الإنجليين أو النصارى)¹.

وأعمال الرسل هي رسائل متعددة متنوعة تتكون من إحدى وعشرون رسالة أربع عشر منها منسوبة إلى القديس بولس، وسبعة إلى الرسل اللاحقين منهم بطرس ويعقوب ويوحنا ويهوذا. وتعتبر الأناجيل مصدراً لبناء فلسفة مسيحية عند آباء الكنيسة، كونهم هم الذين يوجهون الأفراد إلى الإيمان وطريق الخلاص، وهم الآباء القديسين يتحدثون عن نقاوة الإيمان وإشكاليات المعرفة والأخلاق واللاهوت والسياسة، لما يحاكي الكتاب المقدس، حيث منه ينطلقون ويعودون إليه بعد كمال براهينهم.

(حيث يتحدث الآباء عن نقاوة وصفاء العقيدة ونجد تعاليمهم اللاهوتية موافقة للكنيسة وتتوفر فيهم القداسة أي قداسة الحياة وهذا باعتراف الشعب بحياتهم المثالية، ويتوفرون على إعراف

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 16.

الكنيسة التي تعترف بالشخص وتعاليمه وليس من الضروري الاعتراف بشكل رسمي، وأيضا تتوفر في الآباء صفة القدم حيث ينتمي الأب إلى القرون الوسطى¹.

ودافع آباء الكنيسة على الفلسفة ضد منتقديها منهم ترتوليان الذي رفض حكمة اليونان، وأقاموا نزعة توفيقية تربط الإيمان بالتعقل إلى درجة أنهم جعلوا التعقل يعود إلى براهين اللاهوت والميتافيزيقا، ونجد منهم الأفلاطونيون والمشائيون، لكن مقابل هذا اتبعوا الكتاب المقدس في أفكارهم الفلسفية وهي السمة الملازمة للقرون الوسطى في الفلسفة المدرسية نجد (الفلسفة المسيحية تأمل في الوجود وقراءة الحياة وتسير العلاقة مع الطبيعة، وصياغة لمواقف إتجاه المعرفة والقيم والأوهية كما هي إستعمال العقل الذي مصدره الإيمان)².

ومرجعية الإيمان واللاهوت نجدها في قراءة آباء الكنيسة للكتاب المقدس وهو من منابع الفكر الوسيطى لبلوغ كمال الحكمة وتوجيه الأفراد إلى الحقيقة المرهونة بالخلاص، حيث معقولية الفلسفة المسيحية تتطرق من الكتاب المقدس.

كما يوضح إتيان جيلسون بأن (الفلسفة الحقّة إذا ما نظرنا في ذاتها لوجدنا أن حقيقتها كلها ترجع إلى معقوليتها ولاشئ سوى معقوليتها وهذا أمر لا جدال في، ولقد كان القديس أنسلم بل

¹ - حنا الفاخوري وآخرون، الفكر السياسي المسيحي، المكتبة البوليسية، لبنان، ط1، 2001، ص10.

² - المرجع السابق، ص 10.

والقدّيس أوغسطين من قبله أول مكن صرح به، غير أن تكوين مثل هذه الفلسفة الحقّة لا يمكن في الواقع دون عون من الوحي الذي يصل كمساعد أخلاقي ضروري للعقل)¹.

فتجاوز الشك وبلوغ الحقيقة هو من الإلتباع مسار عناية الله وهذه كانت صفة ملازمة لفلسفة القرون الوسطى المسيحية منذ نشأتها إلى تطورها في المدارس والجامعات، كون مسار التاريخ وغائيته مرهون بنهاية دينية، ونظرية المعرفة إشرافية إيمانية مصدرها ديني والقيم الأخلاقية تبعد الشر الأخلاقي عن الله، وتجعل الجمال هو الخير له بعد ديني والمنطق ما يخدم التصور الكنسي للألوهية والتثليث.

فالنزعة الأفلاطونية المحدثّة واليونانية شقها الثاني في بناء الفلسفة المسيحية هو العهد القديم والجديد، تنهل من قداسته لتصبح هي الفلسفة الحقّة طوال القرون الوسطى الأوربية.

والمنطق الأرسطي يخدم اللاهوت المسيحي لنجد تقارب في الطرح كليّات أرسطو مع فكرة الأقانيم في المسيحية (والأقنوم يعني الأصل أو الجوهر والشخص والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين هي، الأب الإبن، والروح القدس، وعند الإسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل الواحد وقيل أن أفلوطين هو أول من أدخل هذا اللفظ في اللغة الفلسفية)²، ومسألة اللاهوت في الكتاب المقدس عبر عنها الفلاسفة من خلال البرهان الوجودي والتأويل وإرهاصاته اليونانية.

¹ - إتيان ميلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 74.

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982، ص 112.

أولاً: القديس أوغسطين

روح الفلسفة المسيحية وعالميتها تجسدت في أعمال القديس أوغسطين فيلسوف التحولات والحضارة، حيث عالج مسائل مهمة في الفكر الوسيطى: منها اللاهوت والدفاع عن المسيحية والتظير للدولة والبحث في مسألة الشر الأخلاقي وفلسفة التاريخ، ففما تتجلى لنا فلسفته وأهميتها عند آباء الكنيسة؟

1- نشأته

نشأ القديس أوغسطين في تاغست Thagaste سوق أهراس حاليا وهي بلدة في نوميديا شمال إفريقيا (ولد سنة 354 م وكان أغلب سكان نوميديا وثنيين بينما كان معظم المسيحيين فيها من العائلات ذات الثقافة اللاتينية، كان أبوه باتريكيوس وثنيا متوسط الحال وأمه مونيكا مؤمنة مسيحية أصبحت قديسة فيما بعد وإهتدى أوغسطين إلى المسيحية لاحقا بتأثير من أمه)¹.

نشأ أوغسطين على العقيدة المانوية في شبابه حيث عرف حياة اللهو والملذات وأنجب ابن غير شرعي سماه أديودات، توفي ابنه في ريعان شبابه حينما كان أوغسطين يتبع المانوية (التي مؤسسها الفارسي ماني، يرون أن العالم مركب من أصلين قديمين أحدهما النور والآخر ظلمة، وأنهما أزلين لم يزالان وأنكروا وجود شئ من أصل قديم)².

ولما تنازل أوغسطين عن المانوية مدركا خطأ هذه العقيدة التي تجعل الله مصدرا للشر وهذا ما رفضه أوغسطين خصوصا وأنه متنوع الثقافات اليونانية والأدبية اللاتينية وهذا ما انعكس في فلسفته

¹ - زيعور علي، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطية، ص 99.

² - الشهرستاني، الملل والنحل، تر محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2009، ص 277.

وفي مؤلفاته، وقسم الدكتور يوسف كرم حياة أوغسطين إلى ثلاثة مراحل في مؤلفه الموسوم بتاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط وهذه المراحل في حياة الفيلسوف نوضحها في الآتي ذكره.

أ- من المانوية إلى المسيحية

لم يتبع أوغسطين الديانة الوثنية لمدة طويلة طبعاً هذا لإدراكه غالبية أخطاء الوثنيين حيث انتقدهم وكتب ضدهم، يقول في مؤلفه الموسوم **بضد المانويين** (ومن بين أخطاء المانويين بحثهم في أصل وطبيعة الشر ولكنهم في حقيقة الأمر لا يدركونه في طبيعته من حيث الصفات الشريرة، المضادة لطبيعة الخير)¹.

الصراع النفسي الذي عايشه القديس أوغسطين جعله يتجاوز المانوية إلى البشارة الجديدة وهي سبيل الخلاص، ورغم أنه يعتبر من أبرز المكونين للعقيدة الوثنية المانوية في شمال إفريقيا، لكنه انسلخ عن هذه التعاليم وأصبح قديساً يبحث عن أسرار الحقيقة (ولما سلك طريق الرهبانية وضع عدة أبحاث في الموسيقى وفي سفر التكوين والمانويين وفي الديانة الحقيقية)²، والتحول في حياة أوغسطين يعتبر مرحلة مهمة انعكست في فلسفته اللاحقة.

ب- من المسيحية إلى القداسة

الأزمة النفسية التي جعلت القديس أوغسطين ينتقد المانويين هي أساس شكه المعرفي الذي من خلاله إهتدى إلى المسيحية كونها مصدر الإيمان والحقيقة (التي هي دوماً بعيدة المنال ولكن

¹ Saint augustin: **des mœurs des manachieens**, Roland Gosselin (2^{ème} ed, des clés de bouweet, 1949), p 183.

² - حنا الفاخوري وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسيه، لبنان، ط1، 2001، ص

هذا الشك لم يكن يتفق مع طبيعته من حيث أنها طبيعة إيجابية عند أوغسطين تنشد إلى الحقيقة ولذلك خرج من الشك إلى المنهج الحقيقي¹.

وهذا المنهج يربط إشراق المعارف بالعقل البشري عن طريق الإيمان المسيحي الذي يحدد لنا المعنى الحقيقي للعقل (فليس الإيمان ينفر من العقل ما دام العقل لا يوجد إلى في الإيمان)²، حيث إعتد أوغسطين على حجج عقلية إيمانية في نقده للوثنيين وفي رده على المانويين وتجاوز خطاياهم، وفي هذه المرحلة من حياة الفيلسوف يتضح لنا أهمية الحجاج العقلي عند القديس أوغسطين حيث بحث على المصلحة الحقيقية للمواطن والمدينة من خلال الكنيسة وهذا بإبعاد الذات التي تقدس الشهوات، لأن حقيقة المعرفة وجوهرها (تجعل العقل الإنساني بالإضافة إلى القوانين والإشراف، تساوي المعرفة الحققة)³.

فجوهر المعرفة مرتبط بالخلاص من ملذات الجسد وإتباع الأوثان التي لا تحمي نفسها فكيف لها أن تحمي الأفراد وفي هذه المرحلة من حياة القديس أوغسطين أبداع في الفلسفة المسيحية وترك مؤلفات هامة في الفلسفة نجل أهمها فيما يلي:

2- مؤلفات وأعمال أوغسطين

كتب العديد من المحاورات منها الرد على الأكاديميين وفي النظام، وفي الحياة السعيدة، ومحاورة المناجاة وفي خلود النفس، ومن أهم مؤلفاته: الإعترافات وهي تحوله من المانوية الوثنية وإهتدائه إلى المسيحية، وما عايشه في تلك الفترة من تحولات نفسية جعلته يعيش إغتراب نفسي

¹ - بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت- ط02، 1979، ص 17.

² - إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د ط، 1993، ص 67.

³ - بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط01، 1984، ص 250.

داخلي يبحث عن خلاص من محبة الذات إلى سبيل المحبة الإلهية الحقيقية التي لا غبار عليها من الناحية الإيمانية (وكتب في الدين الحق أثناء تواجده في روما وألف كتاب **أخلاق النصارى وأخلاق المانويين**)¹.

أهم مؤلفات القديس أوغسطين هو **مدينة الله** ردا على الوثنيين، وفيه الدفاع عن المسيحية المتهمة بأنها لعنة على الرومانيين وسبب سقوط روما، كما يبين القديس أوغسطين أن من خلال مدينة الله، أن الإمبراطورية الرومانية في النهاية ما هي إلا مدينة أرضية ليست خالدة أما المدينة الحقيقية هي مدينة المؤمنين المسيحية التي تهزم محبة الشيطان.

ويبشر القديس أوغسطين في مؤلفه **مدينة الرب** بحياة أبدية، (وهذا تماشيا مع الدعوة المسيحية لمحبة المسيح والتمسك به بشدة والعمل خوفا من الرب من أجل الحياة السرمدية الأبدية)²، وفي ما يلي نجمال أهم إشكاليات القديس أوغسطين الفلسفية وتجلياتها على مستوى الوجود، ونظرية المعرفة والقيم والتاريخ.

3- إشكالية المحبة عند القديس أوغسطين

وزن الإنسان ومكانته الإجتماعية إضافة إلى خلاصه الديني الأخرى مرهون بطبيعة المحبة التي تجمع الأفراد، سواء محبة الذات أو الأشياء الممقوتة أم حب الله ليسمو مع القديسين والملائكة وهي أساس المواطنة وتجاوز الغيرية التي تخدم الذات وتعجل بالتدهور الحضاري، وكما يذكر

¹ - جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط03، 2006، ص 119..

² - سهيل زكار، الأنجيل النصوص الكاملة، ص 732.

القديس بولس في رسالته إلى أهل روما أنه حسب طبيعة المحبة كل فرد يلقي ما يستحقه إما خيرا وإما شرا (في دينونة الله العادلة من خلالها سيجازى كل واحد على أعماله)¹.

لذلك المحبة هي معيار التفرقة بين المدينتين الأرضية والسماوية حسب القديس أوغسطين، فمحبة الذات لحد إحتقار الله تجعل الفرد يعيش خراب وفساد المدينة الأرضية، ومحبة الله تجعل المؤمن المسيحي يعيش سعادة الأبرار داخل المدينة السماوية الخالدة (فالشعب يكون أفضل بمقدار ما يتفاهم حول نشأة أفضل، وممقوتا أكثر بمقدار ما يتفاهم حول أشياء ممقوتة أكثر)²، فالمحبة عند القديس أوغسطين لها دلالات متنوعة تتعكس على المستوى النفسي لتحقيق راحة الذات وعلى المستوى الإجتماعي للإستمرارية المجتمع وتجاوز الفوضى، وأيضا المستوى الديني لبلوغ السعادة الأبدية مع عشيرة الملائكة الأبرار لأن أصل كل مدينة ومحبة هو محاكاة لعشيرة الملائكة ونوعها. كما يذكر القديس أوغسطين في الكتاب الخامس من مدينة الله قائلا (أصل كل مدينة هو تنوع الملائكة إلى أخيار وأشرار ليجد الأفراد صورتهم من خلال محاكاة عشيرة معينة من الملائكة، وفي النهاية يلاقي نفس مصيرها إما السعادة الأبدية وإما الشقاء)³.

ففكرة المحبة عند القديس أوغسطين هدفها تجاوز الإختلاف بين الأفراد ويعدها أخلاقي يخدم الفضائل الأخلاقية وتقريب الآخر فقد كانت (فكرة المحبة تتضمنها تعاليم القديس بولس وأوريجين، غير أن القديس أوغسطين أضاف إليها شكلا قيميا أخلاقيا)⁴، ومن خلال الطرح

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 732.

² - فرانسوا شاتليه وآخرون، معجم المؤلفات السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط01، 1997، ص 114.

³ - القديس أوغسطين، مدينة الله، الكتاب الخامس، الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 2002، ص 262

⁴ - جون توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين للنشر، سوريا،

ط01، 2010، ص 168.

الأخلاقي لفكرة المحبة حاول **أوغسطين** وضعها في موضعها الصحيح حتى تصبح المحية شرطاً مهماً من شروط النهضة الحضارية للمدينة وللأفراد وهي ولادة جديدة للأفراد في الحياة الأخروية، وتاريخ روما يجعلها مدينة أرضية مثل الحضارات السابقة.

وهذا راجع إلى محبة الماديات التي تجعل الأفراد روما في صراع ولهو وتقديس الأوثان والذات وتخدم الشرور (فالمسيح أراد للفرد أن يكون في مستواه الكلي وبالتالي فإن العقل الأخلاقي إنما يصدر عن القلب لا عن مجرد الخضوع القانوني أو عن مجرد إطاعة الشريعة، فلم يعد في المسيحية أي انفصال بين الإنسان والله بل أصبحت هناك، علاقة حية تجمع بينهما هي علاقة المحبة)¹، فعلاقة المحبة هي إنعكاس للمسيحية وللإرادة عند الأفراد أراد منها **القديس أوغسطين** تأسيس الحضارة وتجاوز الهزال السياسي فإن كان **أفلاطون** في بحثه عن المدينة الفاضلة مدينة الحكمة بدأ بسؤال العدالة فإن **القديس أوغسطين** سؤال المحبة هو أساس بناء حضارة وتحقيقي نواميس أخلاقية ومعرفة متكاملة، كون المحبة روحية تجعل المعارف تشرق عند الأفراد وهذا ما يعكس حضور الفلسفة الأفلاطونية في فكر **أوغسطين**، فالحب هو علاقة حية بين الإنسان وذاته وبين الله والأفراد يعكس علاقة الآباء بالأبناء وهذه المحبة هب الرابطة التي يمكن أن تجمع بين الإنسان والله حسب **أوغسطين** وهي أساس تجاوز الشر وروح البنية الأخلاقية ففيما تتجلى لنا فلسفة **أوغسطين** الأخلاقية؟

¹ - فيصل عباس، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، ط1-بيروت، 2008، ص 69.

4- إشكالية الشر الأخلاقي عند القديس أوغسطين

الأخلاق هي فلسفة القديس أوغسطين هدفها الفضيلة على المستوى الأول والهدف الثاني أبعاد الشر عند الله حيث يوضح الفيلسوف بأن الشر هو نقص في الموجود البشري الذي يقع في محبة الشيطان ويستتبع الملذات، والله يحزر الأفراد (فالله حاضر في النفس، بل هو الحياة في النفس هو يحييها حيث ينفخ فيها الفضائل وهي الفصيلة الخالدة الأبدية، فالله مصدر كل شئ وكل خير وانه خلق الإرادة سيده نفسها لكنه خلقها أيضا مرتبطة بالخير الأسمى)¹، والإنسان في بحثه عن إشباع اللذة الجسدية يقع في الشر حيث يوضح القديس أوغسطين في مؤلفه الاعترافات بأن (مصادر الشر تقوم على الشهوات الثلاث وهي شهوة السلطة وشهوة العين وشهوة الجسد)²، وعلى أساس هذه الشهوات تحصل مراتب الشر سواء طبيعي من الكوارث، أم إجتماعي من تفكك وصراع أم أخلاق في تجاوز الفضائل وإتباع اللذات فالإنسان بالأخلاق يكون شريك لله وبالشرك يكون شريك للشيطان، وفي مدينة الله يوضح القديس أوغسطين في الكتاب الرابع عشر، (أن جميع الذين يعيشون في اللذة الجسدية أو في الجسد أيا يكن، هم على مثال الأبيقوريون من الفلاسفة وذاك القطيع من البشر لا دخل له في الفلسفة، لا يجدون فرحا إلا في الأفراح الحسية)³، والفضائل الأخلاقية لا تتحقق باتباع الأفراح الحسية.

لذلك أساس الأخلاق إتباع مدينة الله وتحقيق الفضائل الأخلاقية لبلوغ القداسة وتحقيق التكامل

في المعرفة، التي تكمل الإيمان وهو مصدرها فيما تتجلى لنا نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين.

¹ - زيعور علي، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة، ص 158.

² - القديس أوغسطين، الإعتراقات، تعريب الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 1986، ص 52.

³ - القديس أوغسطين، مدينة الله، الكتاب الخامس، ص 158.

5- نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين

اللاهوت هو السمة المميزة للقرون الوسطى الأوربية وهذا ما إنعكس على مختلف المستويات الفلسفية سواء أنطولوجية أم قيمية أم إبستولوجي، فبعد طغيان اللوغوس في المعرفة على اليونان إذ الحكمة أساس الحقيقة فإن اللوغوس في الفلسفة المسيحية هو في مرحلة ثانية تابع للإيمان كون كل حقيقة مصدرها لاهوتي خالص وعلى هذا النحو نجد نظرية المعرفة عند القديس أوغسطين فيها من حكمة اليونان وإشراق أفلوطين وقداسة المسيحية التي تجعل الله مصدر كل معرفة (فإن لم تؤمن لن تتعقل وهذه النتيجة وعاها القديس أوغسطين وهي التجربة التي مارسها القديس أنسلم)¹، فالمسيح هو المعلم الأول لذلك لقب الأب في القرون الوسطى دلالة معرفية يهدي العامة إلى الحقيقة التي لا يتسرب إليها الظن.

فالعقل مرتبط بالإيمان ويجعل الإنسان يسمو ويتجاوز أغاليط الوثنيين وهذا ما يوضحه القديس أوغسطين في الكتاب الحادي عشر من مدينة الله حين يذكر (أنه لمجهود عظيم ونادر جدا إن يرتفع الإنسان بقوة عقله فوق جميع المخلوقات التي يظهر التأمل فيها أنها قابلة للتعبير)².

ويرى أوغسطين المعرفة المؤمنة من الله حتى لا تجعل الإنسان عرضة للإنزلاقات يبقى تصور ديكارتي في مبدأ الكوجيتو، إذ حسب أوغسطين (الطريق الوحيد الضامن من كل خطأ هو الله والإنسان هو الغاية)³، ونفس فكرة ديكارت بأن الذي يحرر العقل من شكه وضياعه وسط الغابة هو الحل الذي يهبه الله، وهذا يعطس طابع نظرية المعرفة في القرون الوسطى التي تتماشى وفق

¹ - بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، ص 12.

² - القديس أوغسطين، مدينة الله، الكتاب الخامس، ص 06.

³ - المصدر نفسه، ص 07.

ومنطق الكنيسة لبلوغ الحكمة التي لا تتعارض مع الإيمان حيث (يعتبر أوغسطين أن أساس الحكمة وكمالها وحقيقة العلم تكون بالكتب المقدسة)¹، فالحكمة المسيحية هي في أعلى المراتب لذلك يتضح لنا مدى إرتباط اللاهوت بنظرية المعرفة عند القديس أوغسطين وغيره من آباء الكنيسة.

6- لاهوت التاريخ السياسي عند القديس أوغسطين

جوهر التاريخ وفلسفته عند القديس أوغسطين فيه محاكاة للكتاب المقدس في صيرورة منذ بداية الخلق حتى يوم الدينونة الأخيرة ومن خلال هذا المسار تتأرجح ثنائية المدينة بين السماوية والأرضية فالمدن الفانية والتي عرفت انحطاط وتدهور في النهاية ما هي سوى مدن أرضية فانية أما المدينة الحقيقية هي مدينة المحبة لله الناكرة للذات والشيطان تجسدت صورتها حسب القديس أوغسطين في الإمبراطورية الرومانية، لكن الرومان لم يتبعوا طريق الحقيقة وأسرفوا في تقديس الماديات والأوثان الأمر الذي عجل بإنحطاط روما وحرقتها على يد قبائل هاجية، والمسيحية ليست لعنة بل اللعنة الحقيقية هي في الإنحراف على المسار الحقيقي للتاريخ لذلك وجب العودة إلى الرب لتحقيق الخلاص في المدينة الأزلية وليست المدينة الزمنية (لأن الرومان لم يكونوا عادلين ولم تكن مدينتهم حقة لأن موضوع حبه لم يكن الفضيلة كون الهدف الذي جاهدوا من أجله هدف دنيوي)²، فروح التاريخ الحقيقية للمدينة مرتبطة بعد الخلاص المسحي المرتبط بنصرة المدينة السماوية على المدينة الأرضية.

¹ - إميل برهيه، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج مرابلي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1983، ص 22.

² - ليو شتراوسو جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية ص 280

وتصور **أوغسطين** لثنائية المدينة روح تقيم ثنائية مانوية وأصولها مثالية أفلاطون ومنهجها مرتبط بالكتاب المقدس وغايتها تقديم الكنيسة على أي سلطة وثنية وعقلية وتجلياته أخلاقية لأن أساس الوجود هو المحبة الإلهية، وبين المدينة الأرضية صراع دائم والغلبة النهائية تكون للخير والسعادة للأبرار الذين صبروا وأنكروا الذات مقابل المقدس والله (لأن الممالك البشرية تقوم بفضل العناية فهي لم توجد إعتباطاً ولا بحكم إحدى الضرورات ولا بد من قيام حساب أخير)¹.

ومن أجل نهاية الأزمنة أين يبلغ التاريخ غائيته وكماله لا بد من جعل المدينة ظل لعناية الرب فالعناية الإلهية اتخذت طابع مسيحي يوعد الخلاص حيث (أراد **القديس أوغسطين** أن تكون الدولة دينية بل أن تسيطر الكنيسة على الدولة، من أجل تحقيق السعادتين).²

وهذه الفلسفة والأفكار التي تقول بالعناية الإلهية ولاهوت التاريخ السياسي مهدت لفترة من الطغيان المقنن طيلة فترة القرون الوسطى وتجسد هذا في الأوغسطينية السياسية ومحاولة تبرير الفلاسفة ضرورة الطاعة والولاء للكنيسة.

هذا الولاء مهد لعصر الأنوار وهذا يعكس التحول الفلسفي من خلال تاريخه عبر المفاهيم فمن أسطورة الشرق إلى اللوغوس اليوناني ثم إلى تقديم الإيمان على اللوغوس في القرون الوسطى إلى فترة النهضة الفلسفية في الأنوار أين يتم رفع سلطة العقل فوق كل سلطة وظهور العقلانية والنقد والحرية والعلمانية وكلها حقول فلسفية متنوعة لإبداعات الفلاسفة وإنشغلاتهم.

¹ - البان جورج ويجري، التاريخ وكيف يفسرونه، تر: عبد العزيز توفيق، ج1، مكتبة شيخ المترجمين، مصر، ط 02، 1995، ص 180.

² - أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، د ط -1994، ص 170.

القديس توماس الإكويني

1- حياته وفلسفته

يمثل القديس توماس الإكويني مرحلة مهمة داخل الفلسفة المسيحية (ولد سنة 1224 بمدينة روكاسيكا إلتحق بدير الرهبان الدومنيكان وأرسل إلى باريس لدراسة اللاهوت تتلمذ على يد ألبرت الأكبر الذي علمه الفلسفة الارسطية)¹.

ويميل فكره إلى العقلانية وإلى الطابع الأرسطي من الفلسفة اليونانية خصوصا من خلال أبحاثه في المنطق، ونال مرتبة القداسة والرهبانية داخل الكنيسة وتوفي سنة 1274م، (رغم قصر مدة حياته إلا أننا نجده صاحب مكانة داخل الفلسفة الأوربية التي أصبحت منها أفكاره تدرس داخل المعاهد الكاتوليكية التي تعلم الفلسفة التوماوية باعتبارها الفلسفة الوحيدة الصحيحة)².

من خلال فلسفة الإكويني نجد قراءة جديدة لأفلاطون وأرسطو بطابع لاهوتي مسيحي، وهو مدخل للفلسفات المعاصرة ذات الطابع اللاهوتي وسار توماس الإكويني على النهج الأرسطي في

¹ - كامل محمد عويضة، توماس الإكويني، الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، دار الكتاب العالمية، بيروت، ط01، ص

32.

² - المرجع نفسه، ص 33.

اعتبار الله مصدر الأشياء فتجده في الخلاصة اللاهوتية يعتبر (أن الله هو الفاعل الأول لجميع الأشياء، والله ليس مفتقر لشيء)¹.

ومن خلال أعمال الإكويني يتضح لنا مدى حضور الفكر اليوناني في صورة لاهوتية أنطولوجية تربط الحقيقة بالإيمان وهو التقليد الغالب على فلسفة القرون الوسطى ليكون الغيمان هو مصدر كل حقيقة فكما يذكر توماس الإكويني من خلال حديثه عن العلل أن (الله هو المبدأ الأول للأشياء وهو مصدر كل حقيقة)².

ويعتبر مؤلف الإكويني الخلاصة اللاهوتية من بين أهم مؤلفات توماس الإكويني حيث فيه جمع بين عقلانية المنطق وروحانية اللاهوت المسيحي والقداسة التي تجعل العقل يعقب المعرفة وهذا ما تجده عند آباء الكنيسة منهم القديس أبيلار والقديس أنسلم والقديس توماس الإكويني، وتوزعت فلسفة القديس توماس الإكويني على مشارف فلسفة متنوعة في المعرفة والأخلاق والمنطق والإرادة والنفوس.

2- مؤلفات القديس توماس الإكويني

أعمال القديس توماس الإكويني متنوعة حسب تنوع مباحث الفلسفة إضافة إلى حضور الإمتدادات اليونانية لأفلاطون وأرسطو والطابع العام الذي نشأت فيه المسيحية وهو الصراع مع البيئة الوثنية من أبرز ما كتب القديس توماس الإكويني الخلاصة ضد الوثنيين أو ما يطلق عليه

¹ - توماس الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس، المطبعة الأدبية، بيروت، دط، ص 540.

² - المصدر السابق نفسه، ص 29.

الخلاصة الأولى - والخلاصة اللاهوتية وتفسير العبارة والبرهان وكتاب النفس والسمع الطبيعي وهي أعمال على شكل شروحات لفلسفة أرسطو اليونانية.

وفيما يلي توضيح لفلسفة توماس الإكويني مع أهم الإشكاليات التي تطرق إليها في المعرفة و اللاهوت والمنطق وقراءته لليونان.

3- فلسفة القديس توماس الإكويني

يذكر الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل في حديثه عن الفلسفة الغربية موضحاً أهمية فلسفة القديس توماس الإكويني قائلاً (فلسفة الإكويني من بين أبرز الفلسفات التي كانت تدرس في المعاهد الكاثوليكية التي تعلم الفلسفة، وهذا كونها هي الفلسفة الوحيد الصحيحة)¹، فمنطق الإكويني وشروحاته لمختلف أعمال أرسطو في المنطق والسمع الطبيعي والنفس لا يتعارض مع اللاهوت المسيحي، خصوصاً وأن الإكويني لم يجعل الفلسفة المسيحية تتجاوز الإنجيل كونه أهم مصادر هذه الفلسفة، كما يشير الإكويني من خلال فلسفته إلى قضايا متنوعة في اللاهوت والمعرفة والأخلاق والسياسة، وفيما يلي نوضح أهم إشكاليات فلسفة القديس توماس الإكويني التي ساهمت في تأسيس توماوية لاحقة داخل الفكر الأوربي.

4- اللاهوت عند القديس توماس الإكويني

تقريب الفلسفة من اللاهوت أو جعلها تابعة له، هي السمة المميزة للفكر الفلسفي عند آباء الكنيسة في مختلف براهينهم في الوجود والمعرفة والقيم، حيث يعتبر الإكويني (أنه لا يمكن أن نجد تناقض بين الإيمان والعقل، لأن كلاهما أصله واحد هو الله وبالتالي لا يمكن أن يصل اللاهوت

¹ - برتراند راسل، الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، دار القاهرة للتأليف والنشر، دط، 1968، ص 234.

والفلسفة إلى حقائق مغايرة تما الإختلاف فقط يتصح من خلال المنهج)¹، لذلك يسعى الإكوييني إلى توضيح وظيفة الفلسفة ووظيفة اللاهوت وإلى المقاربة بينهما حيث يدرس علل أرسطو في الوجود ويضيف لها اللاهوت المسيحي معتبرا أن (الله الفاعل الأول لجميع الأشياء)².

فجميع الأشياء تصدر عن الله ويوجهها إلى طبيعة خيرة لإدراك الحقيقة وبلوغ الغاية من الوجود لأن (الرب صنع الجميع لأجله والجواب يقال أنه كفاعل يفعل لغاية وإلا لما حصل عن فعله هذا إتفاقا وغاية الفاعل والمنفعل واحدة لعينها)³، وبهذا كل العلل الوجودية مصدرها الله والفواعل الإنسانية ناقصة في إدراك الشئ الذي يبلغ كماله في العناية الإلهية التي هي كمال الموجودات وهو حقيقة الموجودات الصحيحة، والبرهان الإيماني الذي يعلو على البرهان العقلي وهذا هو الطابع العام لفلسفة القرون الوسطى مثلما أشار إليه مؤرخ الفلسفة إتيان جيلسون حين يقول (إن الدولة لدى المفكر من القرون الوسطى بالنسبة إلى الكنيسة كما هي الفلسفة بالنسبة للاهوت وكما هي بالنسبة إلى النعمة)⁴.

والبعد اللاهوتي في الفلسفة المدرسية يعتبر دلالة على أحد تعريفات هذه الفلسفة المرهونة بالإيمان، وأيضا على مبدأ التوفيق بين الفلسفة اليونانية والمسيحية مع توضيح لا مبرهنات جديدة

¹ - بيتر كوزمان فرانس وآخرون، أطلس الفلسفة، تر جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، بيروت، 2001، ص 84.

² - توماس الإكوييني، الخلاصة اللاهوتية، ص 540.

³ - المصدر نفسه، ص 540.

⁴ - جون توشلر، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ص 363.

وهي حجج لاهوتية حقيقتها مطلقة كون مصدرها الإيمان وهي في الطريق الصحيح لأنها من الكتاب المقدس الذب يعتبر أهم مصدر من مصادر الفلسفة المسيحية إضافة إلى الفلسفة اليونانية. فاللاهوت عند **الإكويني** هو مبرر للتوفيق بين الفلسفة والدين وهو المبرر الوحيد أمام العقل الفلسفي كونه يعكس (محاولة توماس الإكويني لتأويل **أرسطو** من جديد على أساس الإيمان المسيحي وإصلاح اللاهوت المسيحي على أساس الفلسفة الأرسطية)¹، وهذا من خلال وضع لامبرهونات يبرهن بها، ولا تقبل أن يبرهن على صحتها كونها أقرب إلى الحقيقة بل وهي مصدرها وهي تجاوز الشك الفلسفي، ودلالات اللاهوت أخلاقية تخدم الفضيلة ونفسية تبعث في النفس الراحة وتجاوز الإغتراب.

وتحمل نظرية المعرفة بعد إشراقي في أحكامها، صادقة خالية من الظن لأن مصدرها ليس العقل البشري، فعلها لاهوتي خالص (فاللاهوت بالنسبة إلى **توماس الإكويني** هو علم وبهذا المعنى يوجد نطاق من العلوم الأولى تنطلق من المبادئ البديهية بذاتها ومن هذا النمط نجد الحساب والهندسة، وتنطلق العلوم الأخرى من المبادئ التي لا تظهر بدايتها إلا في ضوء علم أعلى، واللاهوت علم لان مبادئه لا يستطيع إثباتها حتى في اللاهوت نفسه)²، فالتمييز الذي نجده في شروحات **الإكويني** على **أرسطو** هو حضور البعد الديني المسيحي من خلال مبادئ اللاهوت التي تظهر في مختلف بنود الإيمان التي هي من وصاية الكنيسة وهذا ما يعطي بعد إيديولوجي للمعرفة وبنود الإيمان بالنسبة إلى **توماس الإكويني** هي حقائق أولى وبهذا يجعل حقائق الفلاسفة في

¹ - ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية، ص 323

² - جونو وبوجران، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، تر علي زيعور، دار عز الدين للطباعة والنشر - بيروت، دط، 1993، ص 122.

المرتبة الثابتة على نحو القديس أوغسطين الذي لم ينكر الفلسفة اليونانية لكنه ينكر صدارتها،
فحقائق الفلاسفة تكون من النوع الثاني عن طريق العقل.

والعقل يقبل بديهيات اللاهوت (كون مبادئ اللاهوت بديهية بالنسبة إلى الله، الذي يمتلك وحدة
العلم الحق، ومن العلم الإلهي يتلقى المؤمن الإتصال بها عن طريق ماهية الإيمان)¹، وهبة الإيمان
تتحقق بالمحبة والخير (أن الغاية الخيرية كما يوضح القديس توماس الإكويني في الخلاصة
اللاهوتية تكمن الخيرية الإلهية في غاية جميع الأشياء)².

وإكتمال العلل باللاهوت حيث أن الله يصل جميع العلل للأشياء وهو العلة الغائية والفاعلة
وكل شئ يصدر عن الله الذي حقيقته مطلقة ومن بين تجليات هذه الحقيقة العقل الفلسفي ببراهينه
المتنوعة سواء على المستوى الأنطولوجي، أو المعرفي أو الأكسيولوجي القيمي.

واللاهوت خالي من التناقض بل هو المحرر للفكر من التناقض الذي وقع فيه الفلاسفة
الوثنيين في قضايا متنوعة فلسفياً منها مسألة الأخلاق، فكيف كان حضور القديس في النظرية
الأخلاقية؟

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 122.

² - توماس الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص 541.

5- غاية الأخلاق عند توماس الإكويني

نظرية القديس توماس الإكويني في الأخلاق قراءة جديدة للأخلاق النيقوماخية عند أرسطو ولمفهوم الفضيلة عند أفلاطون وإقاليهما الجوهرية من عفة وعدالة وحكمة وشجاعة (حيث في كتاب الإكويني على شرح الأخلاق يتحدث عن الفضائل الأخلاقية من خلال فلسفة أرسطو)¹.

كما يشير الإكويني على نحلة آباء الكنيسة من خلال الطابع اللاهوتي للفضيلة والمحبة والحقيقة، التي مصدرها الله لذلك الشر الأخلاقي هو نقص في إستوعاب الإرادة وليس من الله مصدر الفضيلة الكاملة.

والأخلاق تقوم على التضاد بين الخير والشر، حيث يوضح الإكويني في الخلاصة اللاهوتية أن (ليس أحد الضدين موضحا للآخر والخير والشر ضدان)²، فما ليس من طبيعة واحدة بل حسب إستخدام الإرادة عند الأفراد، والشر يرفع الخير ويجعله يتلاشى لأنه أحد الضدين يفيد الآخر بالضرورة.

لذلك قيام الفضيلة له بعد ديني مرهون بالسعادة الأبدية أو الشقاء حسب طبيعة الفعل البشري لأنه (من البديهي أن يلعب الوحي الإلهي المصدر الأول للسلطة الأخلاقية وهذا التغير المهم الذي أدخلته المسيحية في المجال الأخلاقي)³.

فطبيعة الفضائل الأخلاقية مرهونة بالمقدس على غرار البعد الأخلاقي والمثالي للأخلاق في الفلسفات السابقة اليونانية، وفي هذا بعد أفلاطوني محدث يتجه إلى الفكر والتعفف الروحي كون

¹ - ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية، ص 268

² - توماس الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص 584.

³ - محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1998، ص 121.

الديني مرتبط بالأخروي، (فإذا كانت الفلسفات السابقة قد أدركت فكرة السعادة أو الشقاء بعد الموت فإن الفلسفة المسيحية قد أدخلت فكرة جديدة حين ربطت الثواب والعقاب في الآخرة بالحياة الخلقية في الدنيا أو الثقة في الرب)¹.

وهذا ما يزيد النواميس الأخلاقية قداسة كون الأفراد يخشون الشقاء الأبدي أكثر من السلطة الزمنية وتعاليم السلوك الأخلاقي مستمدة من الكتاب المقدس، وأضاف القديس توماس الإكويني الطابع الأرسطي للأخلاق من خلال دراسة للفضائل في الأخلاق النيقوماخية ويؤمن لنفسه السعادة الأبدية (كون الخير العام من غاية السلطة السياسية، وهو في المحل الأول يتضمن الإنسجام في أجزاء المدينة المرتبطة فيما بينها)²، خروج القوانين هادفة إلى تنظيم العلاقات وسط التجمع البشري في ظل الكنيسة الوصية على البشر وطبيعة المعرفة هي التي تضمن القداسة للكنيسة كونها أساس الإستقامة وضمان تكامل الديني مع الأخروي.

6- نظرية المعرفة عند توماس الإكويني

(موضوع المعرفى وجد في كل فروع الفلسفة واللاهوت فكل معرفة هي معرفة الله وهي معرفة صادرة من السموات وهي علة كل الموجودات والمخلوقات)³.

برهان القديس توماس الإكويني في المعرفة أقرب إلى البرهان الأرسطي على علة الحركة في الأشياء الطبيعية والتي مصدرها المحرك الأول، لذلك يجعل توماس الإكويني الله مصدر كل معرفة

¹ - المرجع نفسه ص 122.

² - ليو شنراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية، ص 373.

³ تراني وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، تر ماهر عبد القادر محمد، مصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2000، ص 406.

ويقين واللاهوت يتجسد في بديهيات يبرهن على العقل والفلسفة ولا تبرهن عليها، وبهذا فرق الإكوييني بين الإيمان وبين التفكير العلمي حيث جعل الفلسفة تهتم بالقضايا العلمية واللاهوت يهتم بالمقدس وهو أساس كل معرفة عقلية كانت أم حسية.

حيث يجعل الإكوييني العقل والنقل من بين طرق المعرفة المؤدية إلى الحكمة والفلسفة، ويرهن عن الفلسفة لأرسطية بإضافة مبدأ اللاهوت بل وأكثر من هذا جعل الإيمان ضربا من أضرب المعرفة (حيث أصبح الإيمان نوعا من أنواع المعرفة لكنه ليس النوع الوحيد للمعرفة المتاحة للإنسان، لذلك ربط الإكوييني معرفة ما وراء الطبيعة أو ما هو مجاوز لمعرفة الطبيعة وبذلك أصبحا نمط للمعرفة عنده)¹.

وبذلك نظرية المعرفة عند الإكوييني تتميز بثنائية اللوغوس واللاهوت من أجل إدراك حقيقة كاملة وهذا في إطار نزعتة التوفيقية بين الفلسفة المسيحية والفلسفة اليونانية، وهذا ما ترتب عليه نوعين من المعرفة، منها ما هو مستمد من الذات الداخلية إيمانيا ومنها ما هو خارجي مرهون بدور العقل والحواس فما هو معيار الحقيقة عند الإكوييني؟

جعل الإكوييني معيار الحقيقة تكامل بين الدين والفلسفة حيث (أن الحقيقة واحدة سواء إختص بها العقل فأصبحت حقيقة إستنتاجية وقياسية أو إختص بها الدين فكان السبيل إليها الإيمان والتصديق بالقلب وبذلك العقل والنقل فرعان من فروع المعرفة لهما مصدرين مختلفين كل مصدر وطبيعته)².

¹ المرجع السابق نفسه، ص 400.

² - تراني وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، ص 400.

ومصادر المعرفة تكامل بينهما وتوفيق وهذا يجعل الفلسفة اليونانية مصدرا مهما من مصادر

الفلسفة المسيحية خصوصا مع نزعة الإكويني التوفيقية في قضايا المعرفة والسياسة والأخلاق.

وما يميز القديس توما الإكويني هو (الجمع بين الكثير من العناصر المتناقضة في العصور

الوسطى حيث بدأ يحيي التوفيقية اليونانية في الفلسفة الوسيطة فخلق من الأفكار نسق متوافق

بحيث تتعايش العقيدة الدينية المسيحية تعايش منطقي مع العديد من الأفكار منها أفكار أرسطو

والقديس أوغسطين والأفلاطونية الجديدة)¹.

وأسبغية الإيمان على التعقل مثلما هي حاضرة في لاهوت ومعرفة الإكويني نجدها جوهر

فلسفة القديس أنسلم والتي أصبحت مرتبطة بالكوجيتو الديكارتي لاحقا.

ويعتبر الإكويني أن الأخلاق تكمل البحث في النظرية السياسية على النحو الأرسطي في

السياسات فما هي تصورات الإكويني حول الفلسفة السياسية؟

7- الفلسفة السياسية عند القديس توماس الإكويني

جوهر النظرية السياسية عند الإكويني هي محاكاة للسياسة الأرسطية في حديثه عن التجمع

البشري ومدينة الإنسان وتدرجها من الأسرة وتديورها إلى المجتمع والمدينة فإن التمايز الذي به

تتجسد السياسة عند توماس الإكويني كغيره من آباء الكنيسة هو مستقبل المدينة أين يربط إستقاء

وسعادة الأفراد بالحياة الآخروية وبذلك تبرير أي تدهور حضاري مرده إلى عدم الإلتزام بالمعرفة

الإلهية والتعاليم الأفلاطونية الدينية.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 406.

وحجر الأساس لفلسفة الإكوييني السياسية (هي الفكرة الأرسطية عن الطبيعة فالإنسان هو موجود سياسي وإجتماعي أكثر من كل الحيوانات الأخرى، والمجتمع المدني شئ طبيعي بالنسبة له، ليس بوصفه شئ معطى عن طريق الطبيعة بل بوصفه شيئاً يميل إليه بالطبيعة)¹.

وطبعا أول أشكال التجمعات الإنسانية تنطلق من الأسرة وتديرها ثم المجتمع وأعرافه والمدينة ونواميسها، إذ بمعزل عن الآخر لا يستطيع الإنسان تحقيق التكامل الإجتماعي فخاصية المدينة هي فطرية في الإنسان تعكس حاجته إلى الآخر وإلى نواميس وقيم وفق الفضائل الأخلاقية (حيث لا يستطيع الإنسان أن يبلغ كماله وكمال الحياة إلا بداخل سياق إجتماعي في المجتمع والأمر نفسه بالنسبة إلى المدينة التي هي تكامل مثل الجسم البشري الواحد)².

وتكامل المدينة من إستقامة المواطن لأن معبر المدينة من غير أفرادها والتزام بعناية الرب والفضائل الأخلاقية لتجاوز مختلف أشكال الشرور والتدهور الذي يلحق بالحضارة فجعل الإكوييني شروط نهضة المدينة له بعد لاهوتي خالص من خلاله يتحرر الإنسان.

¹ - ليو شتراوس، جوزيف كروسي، تاريخ الفلسفة السياسية، ص 370.

² - المرجع نفسه، ص 379.

القديس أنسلم

من أبرز فلاسفة العصر الوسيط القديس أنسلم خصوصا وانه أشار إلى طبيعة المعرفة وعلاقتها بالإيمان وهذه الثنائية أساس اللاهوت المسيحي ويعود بنا إلى المقاربة بين الفلسفة اليونانية والفلسفة المسيحية وطبيعة المنهج والبرهان في كل فلسفة ما نجده مع الإكويني وأيضا في الفلسفة المدرسية من خلال الكوجيتو الديكارتي وعليه فيما تتمثل أهم محاور فلسفة القديس أنسلم؟ وكيف أتى براهين وجود الله؟ وما موقفه من الإيمان والعقل؟

1- القديس أنسلم حياته ومؤلفاته

(ولد القديس أنسلم سنة 1033 م في "بيمونت" Piement وتلقى تعليمه الأولي على يد الرهبان البندكتيين ثم أصبح راهب سنة 1060 م وقام بوظيفة مفتش مدارس الرهبنة وأبدع أنسلم في العديد من المؤلفات أهمها كتاب **مونولوجيون**، وتكلمته لكتاب **الدفاع**، وفي الحقيقة وفي الحرية المطبقة والنحو وفي العهد)¹.

تبنى القديس أنسلم الأفكار الفلسفية الأوغسطينية حيث أعطى الأولوية للإيمان في إدراك الحقيقة قبل عملية الفهم وكلما زاد العقل إيمانا زاد إدراكا (لأن الإيمان نور العقل عنده وبالنسبة للجانب المعرفي والذي يحتل الصدارة في فلسفة أنسلم جعل فيه العقل سبيل لإدراك المعرفة والفهم)².

¹ - جونو وبوجران، تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطة، ص 720.

² - المرجع نفسه ص 72.

والتعمق في الإيمان يؤدي إلى فهم الحقائق الماورائية حسب أنسلم لذلك يضع طريقين للمعرفة الأولى عقلي والثاني إيماني به نضمن المعارف العقلية والفلسفة دون (الفلسفة الحقة إذا ما نظرنا إليها في ذاتها لوجدنا أن حقيقتها كلها ترجع إلى معقوليتها ولاشئ سوى معقوليتها، وهذا أمر لا جدال فيه حسب أنسلم)¹.

وتنوع فكر أنسلم يجعلنا نتطرق إلى أهم الإشكاليات الجوهرية في فلسفته والمرتبطة بالعقل والإيمان، ونظرية المعرفة، وبراهين وجود الله التي هي أساس اللاهوت عند القديس أنسلم كل هذا من خلال المنهج الجديد الذي أبدع فيه القديس أنسلم في التوفيق بين العقل والإيمان، فما هي حقيقة هذا المنهج.

2- العقل والإيمان عند أنسلم

بين العقل واللاهوت يبحث القديس أنسلم عن موقفه يجعل لكل منهج براهينه في إثبات الحقيقة وفي النهاية الإيمان يكمل الحقيقة العلمية والفلسفية (مكتشفات القديس أنسلم لا تزال حقيقة عند ديكارت ومالبرانش، حيث أن الفلسفة المسيحية تؤكد الأولوية الميتافيزيقية للوجود وتوحد بين الماهية والوجود في الله)².

والإيمان هو الذي يتجسد في المرحلة الأولى، ويليه في المرحلة الثانية العقل وبالعقل نفهم ويكون الحجاج العقلي بما يتناسب والكتاب المقدس حيث (أبدع أنسلم لنفسه منهج جديد وهو

¹ - إتيان جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، مصر، ط 03، 1996، ص 74.

² - المرجع نفسه، ص 67.

طريق وسط بين الجدليين، وبين رجال اللاهوت وإعتبر أن الجدليون مخطئون لأنه لا بد أولاً بالإيمان وليس بالعقل بأسبق على الإيمان ومن ناحية ثانية رجال اللاهوت يرتكبون إهمال حين ينصرفون عن التعقل)¹.

لذلك حاول أنسلم وضع لكل ميدان معرفي منهجه الخاص به وعلى هذا النهج نجد الخلاصة اللاهوتية مع القديس توما الإكويني، أما أنسلم فيعتبر أن العقل يبدأ بعد الإيمان وعلى العقل أن يعمل ما هو عقلي إيماني هذا هو أساس نظرية المعرفة عنده فما هي أهم محاور نظرية المعرفة عند القديس أنسلم؟

3- نظرية المعرفة عند القديس أنسلم

أساس العقل الإيمان وأساس الإيمان المحبة عقد آباء الكنيسة الدولة جسد واحد متكامل بالمحبة التي تحرر الإنسان من الشك وتجعله يقترب إلى المعرفة الحقيقية التي إذا نظرنا إليها من زاوية اللاهوت وحده نعتبرها ناقصة، وإن عصرناها في العقل فقط فهذا إهمال للطابع المسيحي والبعد القداسي للمعرفة طوال القرون الوسطى الأوربية أين يحضر البعد الأفلاطوني الإشرافي في نظرية المعرفة عند الفلاسفة بوجه روحي يربط العلوم بالخلاص والجهل بالشقاء وإدراك الحقيقة هو إتباع للكنيسة.

¹ - بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، ص 67.

ولا يمكن إدراك الحقيقة إلا بالإيمان الذي حضوره عند أنسلم لا ينكر العقل اليوناني لأنه مرهون في وجوده باللاهوت كون (المعرفة محبة للمسيح الذي يدعو أنسلم أن يغمره بالمحبة حتى يستطيع تذوق المعرفة)¹، كون المعرفة صادرة من الله الأكمل مصدر الحقيقة أما حقيقة الفلاسفة هي حقيقة علمية وكل موجود بديه فكرة عن الله مصدر العقل ومثل هذا الطرح مألوف تداوله في فلسفة القديس أوغسطين (حيث يستند أنسلم على القديس أوغسطين ويتبنى الأوغسطينية وقال: أنا لا أحاول أن أفهم لأؤمن فأنا أؤمن أعتقد لكنني أفهم لأنني أؤمن أيضا أني لن أستطيع الحكم إذ لم أكن أؤمن)²، وأستخدم أنسلم العقل والإيمان كبراهين على وجود الله. كيف ذلك؟

4- براهين وجود الله عند القديس أنسلم

يقدم القديس أنسلم براهين عن وجود الله في اللاهوت المسيحي وها ما يعكس أرسطية الفيلسوف ومدى سعيه إلى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والمسيحية وهذا ما تجسده فلسفته وتحليله لعلاقة بين العقل والإيمان حيث جعل الإيمان شرط التعقل.

حيث عرض أنسلم براهين وجود الله في كتابه المناجاة وتطرق أيضا للفكرة في مؤلفاته الأخرى، وأعطى براهين عقلية وإيمانية ربطها باختلاف الموجودات وأيضا مدى مشاركة هذه الموجودات في الخير وإدراكها له عن طريق الله وفيما يلي نجمال أهم براهين وجود الله عند القديس أنسلم والتي حصرها في أربع براهين.

¹ - جونو وبوجران، تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، ص 72.

² - المرجع نفسه، ص 72.

أ- البرهان الأول: (يقوم على فكرة الخير حيث يعتبر القديس أنسلم أن الناس مشغولين بالخير والكائنات تصبوا إلى تحقيق الخير إلا أن مقدار الخير يختلف بين الناس وكل خير لا بد أن له علة)¹.

وعلة كل خير هي الله وكون الناس مختلفون في إدراك القيم والحقائق، فإن حتمية الخير ومبدئها هو الله مصدر كل حقيقة لا غبار عليها، أما الفهم البشري يقع في سؤ الفهم وهنا يكون الشر الأخلاقي أما الله مصدر كل خير لأنه مصدر الوجود.

ب- البرهان الثاني: يقوم على فكرة الوجود ومصدره (يتأسس هذا البرهان على فكرة الوجود حيث تشترك الأشياء في كمال عام تام هو الوجود، ولكل موجود علة ذلك لأن الأشياء ممكنة وليست واجبة ولكن العلة لجميع هذه الموجودات موجود واحد أول هو الله)².

يصل من خلال هذا البرهان أنسلم إلى أن الله علة الموجودات وموجدها الأول كونه واجب الوجود وفي هذا البرهان صورة أرسطية تعود إلى برهان أرسطو على المحرك الأول الذي هو الله مصدر كل حركة وكل موجود عند أنسلم أوجده الله وهو الموجود بذاته.

ج- البرهان الثالث: يقوم على فكرة تمام الأشياء وكمالها ولكل كمال لا بد من مصدره (فكرة الكمال في كل الكائنات فكرة مسلم بها، لكننا نجد أن بعض الكائنات أكمل من بعض، فليس من شك أن الإنسان أكمل من الحيوان وإن لم يسلم الإنسان بهذا لما إستحق أن يكون إنسان فهناك إذا إختلاف في درجات الكمال)³.

¹ - بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت- ط02، 1979، ص 29.

² - المرجع نفسه، ص 70.

³ - المرجع نفسه، ص 70.

وجوهر الإختلاف هو طبيعة في الموجودات التي إما نجدها تسموا أم تدنوا لكن الإنسان يتميز عن كل الموجودات لتمييزه باللوغوس العقل الذي هو شق ثاني للحكمة عند أنسلم يكمله الشق الإيماني وإستخدام العقل في بلوغ الطريق الصحيح يجعل الإنسان أكمل الكائنات وهذا يتحقق بالإيمان لأن الله هو مصدر الكمال.

وهذا البرهان يدخل في إطار يسعى أنسلم إلى التوفيق بين الفلسفة اليونانية الوثنية والفلسفة المسيحية التي إختلف بعض الآباء حول طبيعة العقل الموروث من اليونان بداخلها، أيضا عن مراتب الكمال التي يشير إليها القديس أنسلم في حديثه عن إثبات وجود الله تدرك في المراتب حسب طبيعة إستخدام العقل الذي يميز الإنسان عن باقي الموجودات المختلفة وقد أشارت الأفلاطونية المحدثة إلى الصدور وإلى مصدر الكمال الأول بالإضافة إلى مراتب الإتيان من المقدس والمدنس والترفع عن المادة، أيضا ترفع العقل عند الإنسان بالإيمان يجعله يدرك أن الله مصدر عقله وحكمته ومعرفته الفلسفية، لذلك أساس اللاهوت عند أنسلم إيماني خالص، يدعم حاجه اللاهوتي بتبريرات عقلية فلسفية.

د - البرهان الرابع: أساس هذا البرهان فكرة الوجود (ويقوم هذا البرهان على أنه لدى كل إنسان

فكرة عن الوجود لا يمكن أن يتصور موجودا أكمل منه وهذه حقيقة إيمانية يقدمها الإيمان لنا)¹.

وهذا في حقيقة الموجود الكامل، وهو الله مصدر الوجود والخير وبهذا نصل وجود الله دون

برهان بل ونبرهن به على وجود الإنسان ومراتب الكائنات وهذه سمة يقر بها أنسلم في حقيقته

¹ - بدوي عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، ص 71.

الإيمانية التي تجعل اللاهوت من الأمر هنا فطرية حقيقة إيمانية قابلة للتصديق، وليست خاضعة
للإدراك العقلي والحسي وكانت مسألة إثبات وجود والمعرفة والعقل والأخلاق أهم مبادئ فلسفة
القديس أنسلم فهي مدينة من الحقيقة والإيمان والتعقل وهذا يعكس تمثيله للأرسطية، وتطور أفكاره
في الفلسفة التوماوية وإحيائه للأوغسطينية.

علاقة الفلسفة المسيحية بالفلسفة الإسلامية

أهمية الفلسفة الإسلامية تتضح حسب التقديم الفلسفي بالنسبة للآباء الكنيسة من أهمية الوسيط هرمس في التأويل حيث حركة الترجمة ساهمت في بناء ونقل أفلاطون وأرسطو إلى الفكر الوسيط وهذا ما ترتب عنه البحث من إشكاليات جديدة فيكون المنطلق فيها بيس إيماني خالص بل عقل وإيمان وهذا ما نجده مع أوغسطين وأوغسطينية وأنسلم وتوما الإكويني خصوصا مع ظهور حركات الترجمة وانتعاش الفلسفة العربية الإسلامية فما هي أهم القضايا الفلسفية التي ترتبت عن علاقة الفلسفة المسيحية بالفلسفة الإسلامية؟

تعريب اللوغوس اليوناني إلى الإيمان واللاهوت المسيحي تم (بفضل ترجمات لكتب ابن رشد اللاتينية، ونقلها إلى أوروبا حيث إنتشرت الرشدية وأصبحت من أبرز التيارات الفكرية التي مثلها القديس توما والقديس ألبرت الأكبر حين وقف بين الدين والفلسفة)¹.

فالمقاربة بين الحكمة والشريعة هي نفسها المقاربة بين اللاهوت المسيحي والفلسفة اليونانية، في مرحلة تطور الفلسفة المدرسية بعدما أصبحت تدرس في المعاهد والجامعات وتحيي أفكار أفلاطون وأرسطو على النهج الرشدي، وحيث تصور الشرح الرئيس ابن سينا ومن خلال فلسفة الفارابي، خصوصا وأن العصر الوسيط الإسلامي عرفا تطورا على غرار العصر الوسيط الأوربي بركوده السائد جراء مركزية الحقيقة الدينية وعناية الكنيسة التي تنوب عن شؤون البشر.

¹ - محمد حسن مهدي، ابن رشد وفلسفته الإلهية، دار عالم للكتاب والنشر، مضر، دط، 2014، ص 09.

لذلك (إشتغل في فترة العصور الوسطى الأوربيين على دراسة وشرح فلسفة **إبن رشد** ونقدها،
ومن أبرز الفلاسفة المهتمين نجد **القديس توما الإكويني**، فقد أخذ آراء **إبن رشد** في مسألة التوفيق
بين الفلسفة والدين ووظيفة اللاهوت)¹.

وهذا ما ساهم في خصوبة المعارف الفلسفية في أوروبا، الموزعة على مستويات المعرفة
والوجود والقيم لتجعل هذا العصر يفيض بإشكاليات جديدة حيث (يعتبر القرن الثالث عشر بحق
العصر الذهبي للفلسفة المدرسية وقد أمطره **إبن سينا** و**إبن رشد** بوفرة الأعمال، وهذا ما ساهم في
توجيه الفكر المدرسي إلى أبحاث وإنشغالات فكرية فلسفية)².

وفي مقابل إمتداد الفكر الإسلامي إلى الفلسفة المسحية فإن الموروث المسيحي للفلسفة المدرسية
ولاهوتها تجسد أيضا علك الكلام الإسلامي (فلا ننكر بعض أفكار المسيحيين التي شربت إلى فكر
المسلمين مثل فكرة الحلول أي حلول اللاهوت في الناسوت وغير ذلك وغير ذلك من الأفكار التي
غذت الفرق الكلامية)³.

والحجاج الكلامي توسعت مشارفه من مسيحية وأفلاطينية ويونانية قصد تبرير مصداقية كل
فرقة، وهذا النوع ساهم في بناء تصورات جديدة، وفي الوقت نفسه تنمية إشكاليات الفلسفة المدرسية
يعود إلى أهمية أعمال فلاسفة الإسلام.

¹ - المرجع السابق نفسه، ص 90.

² - إتيان جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ص 461.

³ - جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط01، 200، ص 26.

(حيث تمتاز الفلسفة المدرسية بمعرفة كتب أرسطو عن طريق العرب المسلمين واليهود بالخصوص، تطور الفلسفة المدرسية الذي قام بين الأرسطاليسية والفلسفة الرشدية والتوماوية)¹.
فأهمية الترجمات هي توسيع نطاق الجدل الفلسفي والتأمل العقلي في قضايا الفلسفة واللاهوت وهذا من خلال تكامل الأنساق الفلسفية اليونانية والإسلامية والمقاربة بينها في مسائل عقائدية وعقلية ومعرفية.

¹ - عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت - ط02، 1979، ص 44.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- 1- القديس أوغسطين، مدينة الله، الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 2002.
- 2- القديس أوغسطين، الإعترافات، تعريب الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 1986.
- 3- موسى بن ميمون القرطبي الأندلسي، دلالة الحائرین، ترجمة حسن اناي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دط، دس.

Saint augustin: **des mœurs des manachieens**, Roland Gosslin (2^{ème} ed, des clés –4 .de bouweet, 1949), p 183.

ثانياً: المراجع

- 1- إبراهيم زكرياء، إعترافات القديس أوغسطين، مطابه الهيئة المصرية، مصر، ط01، 1994
- 2- إبراهيم مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، د ط، 1993.
- 3- إتيان جيلسون، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، مصر، ط 03، 1996
- 4- أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1999.
- 5- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، د ط -1994.
- 6- إسرائيل شاحاك، التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطى ثلاث آلاف سنة، تر صالح علي شوداح، دار نسيان - بيروت، ط01، 1995.
- 7- إميل برهيبه، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط والنهضة، ترجمة جورج مرابلسي، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1983.
- 8- بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط01، 1984.

- 9- برتراند راسل، الفلسفة الغربية، ترجمة زكي نجيب محمود، دار القاهرة للتأليف والنشر، دط، 1968.
- 10- تراني وماركوس، مقالات في فلسفة العصور الوسطى، تر ماهر عبد القادر محمد، مصر، دار المعرفة الجامعية، دط، 2000
- 11- تمار رودافيسكي، موسى ابن ميمون، تر جمال الرفاعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013، ص 21.
- 12- توماس الإكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس، المطبعة الأدبية، بيروت، دط.
- 13- جمال المرزوقي، دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط01، 2000
- 14- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط03، 2006.
- 15- جون توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ترجمة ناجي الدراوشة، دار التكوين للنشر، سوريا، ط01، 2010.
- 16- جونو وبوجران، تاريخ الفلسفة والعلم في أوربا الوسيطة، تر ععلي زيعور، دار عز الدين للطباعة والنشر - بيروت، دط، 1993.
- 17- حنا الفاخوري وآخرون، الفكر السياسي المسيحي، المكتبة البوليسية، لبنان، ط1، 2001
- 18- حنا الفاخوري وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ط1، 2001
- 19- داود علي الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن، دار زهران للنشر والتوزيع، ط01، 2003
- 20- رأفت عبد الحميد، الفكر السياسي الأوربي في العصور الوسطى، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002
- 21- سهيل زكار، الأناجيل النصوص الكاملة، دار قتيبية للنشر، سوريا، ط01، 2008.
- 22- شارل جنبير، المسيحية نشأتها وتطوها، تر عبد الحليم محمود، منشورات مكتبة صيدا - بيروت، دط، دس

- 23- الشهرستاني، الملل والنحل، تر محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، 2009
- 24- صابر طعيمة، التاريخ اليهودي العام ج0، دار الجيل ، بيروت، ط3، 1995.
- 25- عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، دار القلم، بيروت- ط02، 1979.
- 26- علي حربي وعباس عطيتو عطية- دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 2000
- 27- علي زيعور، أوغسطينوس مع مقدمات في العقيدة المسيحية والفلسفة الوسيطة، دار إقرأ، بيروت، ط01.
- 28- فرانسوا شاتليه وآخرون، معجم المؤلفات السياسية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ط01، 1997
- 29- فيصل عباس، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، ط1-بيروت، 2008.
- 30- القديس أوغسطين، الإعترافات، تعريب الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 1986.
- 31- القديس أوغسطين، مدينة الله، الكتاب الخامس، الخوار أسقف يوحنا الحلو، دار دمشق، بيروت، ط 03، 2002.
- 32- كامل سفعان، اليهودية تاريخ وعقيدة، دار الإعتصام، مصر، ط1، 1981.
- 33- كامل محمد عويضة، توماس الإكويني، الفيلسوف المثالي في العصور الوسطى، دار الكتاب العالمية، بيروت، ط01.
- 34- ماهر عبد القادر محمد وحربي حطيتو، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 2000
- 35- محمد حسن مهدي، ابن رشد وفلسفته الإلهية، دار عالم للكتاب والنشر، مصر، دط، 2014.
- 36- محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1998
- 37- مراد كامل، الكتب التاريخية في العهد القديم، معهد البحوث والدراسات العربية، بيروت، دط، 1968.

38- ملاك محارب، دليل العهد القديم، مكتب مصر للطباعة والنشر، مصر، دط، دس.

39- موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل، تر عدل يوسف، دار الأهلية، بيروت، ط1، 2009.

3- قائمة المعاجم والموسوعات

1- بيتر كوزمان فرانس وآخرون، أطلس الفلسفة، تر جورج كتورة، المكتبة الشرقية، بيروت، ط1، بيروت،

2001.

2- هوتدرتش، دليل أكسفورد للفلسفة، تر نجيب الحصادي ج1، المكتب الوطني للبحث، ليبيا، دط، 2003.

3- صليبيا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دط- 1984.